روايات مصرية للجيب
Looloo
www.dvd4arab.com

مصرع ملكة

لـوتس

فى قلب التاريخ ، تسكن حضارة مصر الفرعونية .
بكل جمالها وقوتها .
حقائقها وأساطيرها .
نورها ونارها .
من قلب النيل نبعت هذه الحضارة .
كزهرة لوتس عطرة الرائحة .
ندية الملمس .
متألقة الألوان .
وإلى قلب الماضى ، تبحر فى قارب من البردى .
نجوب أجواء زمان ولّى .
مخلفًا آثاره التى لا تزول .
شامخةً فى وجه الدهر .
وفى وجوه حاملى معاول الهدم والتشويه .
إنها زهور أينعت منذ فجر الوجود .
فتفتحت أوراقها .
وانتشرت أنوارها إلى كل الحضارات الإنسانية الأخرى .
إنها زهور لوتس .
فى قلب مصر .. القديمة ..

محمد سليمان

١ـ اختفـــاء ..

دوائر الماء الداكنة فى عتمة المساء الراحل ..

هكذا تضع الحرب أوزارها ، وتستعد الروح إلى رحلة الراحة الأبدية ..

هكذا تنغلق أبواب كل شىء ، وينقطع الخيط الأخير ..

هكذا تنتهى اللعبة ..

ويبدأ الحساب ..

★ ★ ★

ـ (محب) ؟! ماذا تفعل هنا ؟

الليل ونسمة هواء باردة ، فوق قمة معبد (لوتس) ..

النجوم وقرص القمر المضىء مكتمل ..

ظل مفتول العضلات عند السلم ، وظل آخر نحيل عند الطرف الآخر لم ينتفض من وقع المفاجأة ..

ـ أعد نجوم السماء ، وأناجى القمر !

كأنه كان يتوقعها ..

ـ .. السؤال هو ، ما الذى أتى بك أنت الآن يا (حورى) ؟! لم أعهد فيك عشق السهر والخروج عن النظام ..

تقدم منه (حورى) ، وقف إلى جواره وأسند مرفقيه على السور الحجرى الواطئ ، لمح بطرف عينيه ملامح رفيقه ، الوجه ذا العظام البارزة واللحية الخفيفة والعينين الخضراوين حتى فى عتمة المساء ، ثم تنهد فى حرارة ..

قال :

ـ النوم عزيز على جفونى هذه الليلة !

ابتسم (محب) فى مرارة ، وقال :

ـ إنه كذلك على جفونى فى كل ليلة ..

ولم ينس أن يلمح ـ بطرف عينيه هو الآخر ـ ملامح رفيقه الأسمر ؛ الفكين البارزين ، الشعر المجعد ، والإرهاق الشديد ..

ملأ البدر عينى (حورى) وهو يقول :

ـ أشعر بأن هذه الليلة بالذات ستكون مختلفة ..

مط (محب) شفتيه وقال :

ـ كل الليالى سواء على من لم يُعانِ سهد العاشقين ..

ضيق (حورى) عينيه ، ونظر إليه ..

ـ ماذا تعنى ؟!

أشاح (محب) عنه مغمغمًا :

ـ من الصعب شرح أمر كهذا على من يحمل مثل قلبك !!

ضيق (حورى) عينيه أكثر ..

ـ ماذا تظننى يا (محب) ؟!

صمت ، وترقب ، وقلبان يخفقان ..

ـ .. ما الذى تخفيه فى صدرك ؟! أبح يا أخى ..

عاد (محب) يشيح ويغمغم :

ـ لا عليك ، إن الرأس يدور بعد السهر الطويل ..

ـ إنك تفكر فيها يا (محب) !!

أصاب السهم هدفه ، واستدارت الضحية تستغيث :

ـ من ؟!

ربت (حورى) على كتفه، وهمس:

ـ اخفض صوتك وإلا عوقبنا بقسوة لكسر نظام المبيت ..

لهث (محب)، ولم يقوَ حتى على السؤال مرة أخرى ..

قال (حورى) وقد استقرت راحته على كتف رفيقه:

ـ لست تمثالاً من حجر كما تتوسم فىَ يا صاحبى .. صحيح أنى من عشاق عملى والنظام، وصحيح أيضًا أنى لست فنانًا مرهف الحس شاعرى النظرات مثلك، لكن هذا لا يمنع كونى أحمل بين جوانحى قلبًا خفاقًا، وفى وجدانى ما تيسر من الإنسانية!

صمت ولهاث، مازال (محب) لا يقوى على الحديث ..

صمت طال، ثم همس حقيقى:

ـ أشعر بمعاناتك يا (محب)، وأتمنى حقًا أن تنتهى بسرعة ..

ـ لـ .. لكن .. إننى .. أعنى، أنها ..

فرت الدمعة من عين (محب) فانتهت محاولته للتحدث مبكرًا، وعاد الصمت يلفهما إلا من نشيج مكتوم يخفف به صاحبه الهموم عن نفسه المثقلة ..

ـ لو أردت رأيى، لا توجد من تستحق البكاء عليها فى هذه الدنيا ..

مسح (محب) عبراته بكفيه، وقال محاولاً التماسك:

ـ لا أبكى عليها، ولكن على نفسى!

عاد (حورى) يربت فوق كتفه قائلاً فى تشجيع وتهوين:

ـ لو أردت رأيى مرة أخرى، فلمثلك أن يتيه بنفسه فخرًا، لا أن يبكى ..

ابتسم (محب) وقال من بين عبراته:

ـ أهذا رأيك فىَ حقًا ؟!

ـ هذا فقط ما ينقصك، لمسة بسيطة من الثقة بالنفس ..

قالها (حورى)، ثم تابع بعد هنيهة صمت:

ـ .. عندها ستنتهى كل معاناتك، وستجد نفسك التائهة فى صورة امرأة تحبها، وتحبك ..

اتسعت بسمة (محب) إذ قال:

ـ أما ما ينقصك أنت فلحية بيضاء وعصا من خشب، وتكون بعدها حكيمًا محترفًا ..

وقبل أن تجلجل ضحكتهما ، تعالى وقع السنابك من بعيد ..

ـ ما هذا ؟!

تساءل (حورى) مقطبًا وهو يلتفت إلى مصدر الصوت ، بينما هز (محب) كتفيه قائلاً :

ـ ربما بعض قبائل الصحراء أو قطاع الطرق ، هذه الأصوات مألوفة هاهنا ..

أشار (حورى) بسبابته نحو جهة ما وهو يقول دون أن تنفك تقطيبته :

ـ لكن هذا غير مألوف ، فى مثل هذا الوقت بالتحديد !

نظر (محب) إلى حيث أشار ، والتقت عيناه بالموكب المتقدم فى سرعة من بعيد ..

ظلال رجال فوق ظلال خيول ، يتقدمون من خلف جبل (طيبة) الغربى فى كوكبة دائرية ، وعلى ضوء المشعل الوحيد الذى يحمله فارس فى المؤخرة ـ مما أخفى ملامح القادمين وأضفى عليهم غموضًا ؛ على هذا الضوء أمكن إدراك أن الكوكبة تحيط بفارس فى منتصف الدائرة ..

فارس له طبيعة خاصة ..

ـ أنت محق ..

قالها (محب) وقد تطايرت عبراته ، وتبخر من عالمه كل شىء فيما عدا سؤال ..

ـ .. ماذا يمكن أن يكون هذا ؟!

غمغم (حورى) وقد خفق قلبه :

ـ ألم أخبرك بأنها ستكون ليلة مختلفة ؟!

تقدم الركب حتى بلغ بوابة معبد (لوتس) تقريبًا ، فظهر المزيد من التفاصيل المشوشة ..

قال (محب) وهو يهرش فى شعيرات لحيته الخفيفة :

ـ ربما تكون محقًا فى هذه أيضًا ، لكن ...

لمح ترجل الفارس فى المنتصف عن فرسه ، مردفًا :

ـ .. مختلفة إلى أى حد ؟!

★ ★ ★

إلى أقصى حد ..

قالها الشاب المتدثر فى عباءة ثقيلة ، داخل صومعة

كاهن (لوتس) الأكبر : (تحوت) بلحيته البيضاء الطويلة وآثار النوم بين تجاعيد عينيه المتغضنة ..

الضوء والبخور ما زالا ينبعثان من اللامكان ..

ـ .. الأمر خطير إلى أقصى حد يا (تحوت) ، وإلا لما فكرت فى زيارتك فى مثل هذا الوقت بكل تأكيد ..

دوى صوت (تحوت) الجهورى فى أركان صومعته المظلمة :

ـ مولاى الأمير (تحتمس الثالث) يشرفنى بالزيارة فى أى وقت ..

وقعت العباءة عن كتفى الأمير (تحتمس الثالث) وهو يتقدم نحو الكاهن قائلاً :

ـ ليس هذا وقت المجاملات والرسميات يا عزيزى ..

صوته مفعم بمزيج فريد من الحماسة والتوتر ..

ـ .. ربما فاق الأمر حدود تصوراتك بكثير !

الصوت الجهورى يدوى ثانية ..

ـ لو أن الأمر يقع فى نطاق اهتمامات (لوتس) ، فيد المساندة ممدودة بالفعل ..

ارتجف صوت الأمير (تحتمس) للحظة وهو يقول :

ـ يجب أن يقع يا (تحوت) .. يجب !

انفجرت التساؤلات فى عينى (تحوت) ..

ـ ما الذى حدث يا مولاى ؟!

تنهد (تحتمس) هنيهة ، قبل أن يلقى بحجر فى منتصف الصومعة ؛ حجر ثقيل ..

ـ الملكة الأم ..

وتردد الصدى ، أو هكذا خيل للكاهن (تحوت) ..

ـ (حتشبسوت) ؟!!

وتردد الصدى ، أو هكذا خيل للأمير (تحتمس) ..

ـ أجل ..

ـ ماتت ؟!

تساءل (تحوت) ، وقلبه الذى أنهكته الشيخوخة ينتفض فى جنون ..

عاد الصمت يرين ، الصمت الوحشى الأثيم ..

هز (تحتمس) رأسه نفيًا ، وعاد يلوذ بجدار الصمت كأنه يخشى من قول المزيد ..

أو كأن لسانه يأبى أن يطاوعه ..

ـ ماذا إذن ؟!

كاد قلب (تحوت) أن يتوقف وهو ينطق بها ، فما الأسوأ من الموت يمكن أن يحدث ؟!

ـ اختفاء !

كاد قلب (تحتمس) أن يتوقف وهو ينطق بها ، فالاختفاء أسوأ من الموت عندما يتعلق الأمر بالملكة الأم التى بينها وبينه ما صنع الحداد ..

ـ اختفاء ؟! تقول اختفاء ؟!!

ـ أجل !!

ويبتلع الأمير (تحتمس) خناجر ريقه :

ـ لقد اختفت الملكة (حتشبسوت) تمامًا منذ صباح اليوم !

★ ★ ★

٢ـ طمـــوح ..

عندما كنت صغيرة ..

حملنى أبى تحتمس ..

رفعنى عاليًا ..

وأجلسنى إلى جواره على العرش ..

قال : يا زهرة النهر المقدس ..

ستكونين ملكة من بعدى ..

★ ★ ★

وقف المهندس (إننى) تحت الشمس اللاهبة فى صحن المعبد ؛ يتأمل العمال المتحلقين حول المسلة الضخمة دون أن يراوده ذلك الإحساس المريح بالرضا عن العمل ..

ما زال هناك شىء ناقص ، هكذا فكر ..

وهو لا يتنازل عن الشعور بأنه لا يمكن صنع الأفضل ؛ فالأفضل قد صنع بالفعل ، هكذا قرر ..

ليأخذ العمل وقته ؛ فالخلود لا يُصنع بين عشية وضحاها ، هكذا بدأ يستريح ..

ـ مسلة رائعة يا (إننى) ..

ابتسم ملتفتًا إلى مصدر الصوت ..

ـ .. سيعجب بها الملك (تحتمس) أيما إعجاب ..

وقف الكاهن (إمحتب) عند مدخل ساحة المعبد الفسيحة غير المسقوفة برأسه الحليق وثوبه الكهنوتى الناصع البياض ؛ لينطق بكلماته فى تؤدة وهو يرسل بصره نحو قمة البناء الشاهق ، متحاشيًا وهج الشمس الباهر على عينيه بظل يده ..

قال (إننى) وهو يمسح قطرات العرق المتجمعة فوق جبهته بكم قميصه :

ـ المهم أن أعجب بها أنا أولاً يا (إمحتب) ..

مط (إمحتب) شفتيه متصنعًا الامتعاض وهو يقول :

ـ ما زال الطريق طويلاً إذن ..

ـ ليطل ما شاء أن يطول ، لدى من الصبر ما يكفى لبلوغ نهايته ..

قالها (إننى) دون اكتراث ، فعاد (إمحتب) ينظر للمسلة الشاهقة قائلاً :

ـ توقعت أن تنتهى بعودة الملك من حملته هذه المرة ..

اتسعت بسمة (إننى) الذى قال :

ـ ربما بعد نهاية الحملة القادمة !

ـ أعطنى عمرًا وسأنتظر ..

ـ من يتحدث عن العمر الفانى عند ذكر الخلود ؟!

قال (إمحتب) أخيرًا وقد نجح (إننى) فى جعله يبتسم :

ـ سأحاول يومًا ما أن أتغلب عليك فى جدال ..

قال (إننى) مداعبًا :

ـ أعطنى عمرًا وسأنتظر ..

وتفجرت الضحكتان ، قبل أن يقول (إمحتب) ناظرًا إلى وجه محدثه مباشرة :

ـ لا أظنك تنوى مقابلة ملكنا العائد المظفر بثيابك المتربة هذه ..

نظر (إننى) إلى ثوبه وهو يقول :

ـ برغم كونه خير دليل على اجتهادى فى العمل فى أثناء غيابه ، إلا أن قولك يحمل بعض المنطقية ..

لوح (إمحتب) بيده وقال :

ـ أسرع إذن ، الأنباء تقول إنه على أبواب (طيبة) ..

هز (إننى) كتفيه قائلاً فى استهانة :

ـ هذه الأنباء نسمعها منذ بدأت (طيبة) تحتفل ؛ ثلاثة أيام وأربع ليال تقريبًا !

قال (إمحتب) فى لهجة ذات مغزى :

ـ الأنباء آتية من الذراع اليمنى لابنه الأمير (وازمس) هذه المرة ..

مستنكرًا هتف (إننى) :

ـ الذراع اليمنى لمن ؟! (وازمس) ؟! هل أصبح لهذا الفتى رجال وأعوان ؟! وذراع يمنى أيضًا ؟!

فى هدوء رصين أجابه (إمحتب) :

ـ أجل ، أتى يحمل النبأ منذ قليل ويطلب من رجال الملك التواجد فى البلاط قبل غروب الشمس ..

ضرب (إننى) كفيه ببعضهما وهو يقول فى عصبية :

ـ عن أى ملك منهما تتحدث ؟!(تحتمس) أو (وازمس) ؟!

بنفس الهدوء الرصين عاد (إمحتب) يقول :

ـ الأمير (وازمس) هو الوريث الشرعى للملك (تحتمس) يا عزيزى ، ولعله يعد نفسه للعرش منذ الآن .. من يملك فينا حق الاعتراض ؟!

قال (إننى) ولما تفارقه عصبيته :

ـ لست معترضًا ، لكنى أخشى على الدولة من رعونة طائش مثل (وازمس) !

لاح شبح ابتسامة خفية على شفتى (إمحتب) القائل :

ـ على الدولة ؟! أم على نفسك يا (إننى) ؟!

صمت (إننى) مليًا قبل أن يقول :

ـ ليست الدولة إلا الرجال القائمين عليها ؛ أنا وأنت وغيرنا يا عزيزى (إمحتب) ..

ـ فى هذه أتفق معك ، لذا أعتقد أن علينا البدء فى التقرب من (وازمس) ..

ـ مستحيل !! ذلك الـ ...

قاطعه (إمحتب) :

ـ إن ذلك الـ .. هو القائد الأعلى الحالى لجيش المملكة ، وقد رافق والده الملك فى فتوحات الجنوب والشرق ؛ ليستحق بذلك أن يكون الملك القادم شئنا ذلك أم أبيناه ..

ضرب (إننى) قبضته فى راحته مغمغمًا فى غيظ :

ـ تبًا له من استحقاق !

قال الكاهن (إمحتب) بعد أن أطلق تنهيدة قصيرة من عقالها :

ـ أنا شخصيًا كنت أفضل ابنه الأصغر (أمنمس) ، فهو تلميذى النجيب فى مدرسة المعبد ، وولاؤه نحوى كمعلم بلا حدود ..

ضغط (إننى) أسنانه وهو يغمغم مرة أخرى :

ـ تبًا للتقاليد البالية !

عاد (إمحتب) يقول كأنه يفكر بصوت عال :

ـ ليس له من أبناء شرعيين آخرين سوى الفتاتين (حتشبسوت) و(نفروبتى) ، والإناث كما تعلم لا يعتلين عرش بلادنا أبدًا ..

وقبل أن يرد (إننى) بالمزيد من غمغماته الحانقة ، تصاعد السؤال من أعلى :

ـ لماذا ؟!

ارتفع زوج من العيون الناظرة نحو الصوت ..

ـ .. لماذا لا تعتلى الإناث عرش البلاد لو كن يستحقنه ؟!

كانت تقف هناك بوجهها الأسمر المستدير ، بشعرها الأسود الفاحم المتطاير ، بعينيها المشعتين حيوية وذكاء وتحديًا ، بملامحها الناضحة إرادة وعزمًا ، وبملابسها التى تشبه ملابس الصبيان ..

(حتشبسوت) فى نهاية عقدها الثانى من العمر ..

ارتفع حاجبا (إمحتب) دهشة وهو يسأل :

ـ كيف دخلت إلى هنا يا فتاة ؟!

واقفة كانت فوق جدار مرتفع مزركش بالنقوش والألوان ، تقول فى غير اكتراث :

ـ لا شىء يقف أمامى عندما أقرر أمرًا ..

وقفزت من مكانها نحوهما ؛ ليثير اصطدام قدميها بالأرض الترابية نقعًا وذهولاً ..

أفرغ (إننى) حنقه فى صراخه بها :

ـ أى عبث تصنعينه ها هنا أيتها الـ .. الأميرة ؟!

عقدت ساعديها أمام صدرها وهى تقول متحدية :

ـ كنا نتحدث عن العرش ..

ازداد صراخ (إننى) فيها حدة وعلوًا :

ـ أى عرش ؟! مالك أنت وهذه الأمور ؟!

قالت فى ثقة وهدوء :

ـ لى أكثر مما تتصور ..

ابتعد (إننى) وهو يضرب كفيه مجددًا ويحدث نفسه :

ـ عشنا ورأينا ، لايكفينا طموح غر مثل (وازمس) حتى تنظر الأميرات أيضًا إلى العرش .. هذا ما كان ينقصنا حقًا !

وعندما وجهت (حتشبسوت) بصرها إلى (إمحتب) قائلة :

ـ أهو رأيك أنت الآخر يا (إمحتب) ؟!

.. رأى (إمحتب) فى عينيها ما يتجاوز العبث بكثير ..

★ ★ ★

تعالت الهتافات خارج القصر الملكى ، واغرورقت عينا الملكة (أحموس) من وقفتها بشرفته الملكية بدموع الفرح ؛ وهى تلمح وسط جموع الشعب المسرورة ـ الذين خرجوا زرافات ووحدانًا ـ زوجها وحبيبها الملك (تحتمس) ، وبجواره ابنها الأكبر (وازمس) يدفع من حوله المتحلقين فى خشونة وإخلاص ..

عاد الملك أخيرًا بعد شهور الحملة التأديبية سليمًا معافى ..

وابنها (وازمس) فارس شجاع يتمنطق بسيفه على جواده من خلفه ..

الموكب الملكى يتجه نحو القصر ، وعليها وابنتيها أن يكنّ فى الاستقبال ..

ـ جاهزة يا (نفروبتى) ؟!

قالت الفتاة الحسناء (نفروبتى) ؛ والوصيفة عاكفة على طلاء وجهها بالمساحيق :

ـ اللمسات الأخيرة فقط يا أماه !

قبلتها الأم فوق شعرها الحريرى المصفف ، والتفتت إلى ..

ـ (حتشبسوت) ؟! جاهزة ؟!

قالت الفتاة بنبرة تتعمد إغلاظها :

ـ أجل يا أماه ، على أتم الاستعداد ..

قطبت الملكة (أحموس) ناظرة إليها من أعلى لأسفل :

ـ أهكذا تستقبلين أباك وأخاك والنبلاء ورجال الدولة ؟!

نظرت (حتشبسوت) إلى نفسها من اعلى لأسفل سائلة :

ـ ما الخطأ ؟!

قالت الملكة الأم :

ـ انظرى إلى ثوبك الذى يليق بالصبيان ، وهيئتك التى تفتقد لأبسط أدوات الزينة ولمسات الأنوثة ..

ثم إنها أجملت بعد التفصيل :

ـ .. الخطأ فى أنك لا تبدين فتاة بالمرة !

ابتسمت (حتشبسوت) وقالت كاشفة عن صف من الأسنان اللؤلؤية :

ـ إذن لا يوجد أى خطأ !!

★ ★ ★

البلاط الملكى قطعة من الجمر المتوهج فوق مشعل مضىء ..

العازفون فى الخلفية تضرب أياديهم الطبول وتلاعب أناملهم الأوتار وتنفخ أفواههم المزامير ، وفى المقدمة أمامهم راقصات القصر البارعات يرقصن فى تشكيلات منمقة ..

رجال الدولة هنا وهناك ، بين أياديهم كئوس من ذهب وعلى أفواههم ضحكات وهتافات ومداعبات ، وروائح الطعام تفوح من فوق الأوانى التى يذرع الخدم بها طريقهم روحة وجيئة ، حتى تجد مستقرًا لها فوق الموائد الواطئة المبعثرة هنا وهناك ..

مال (إمحتب) على أذن (إننى) ليهمس فى صوت ضاع وسط الزحام :

ـ أما كان يجب أن نستقبله فى الخارج ؟

جرع (إننى) من كأسه المذهبة قبل أن يقول بلامبالاة :

ـ وفيم العناء ؟!

ـ إننا من رجاله الثقات و...

ـ سنظل كذلك سواء خرجنا لملاقاته أم لم نخرج ..

غمغم (إمحتب) لنفسه بما لم يسمعه رفيقه :

ـ من يأمن حيل الدهر ؟!

ـ مولانا الملك ..

هتف بهـا الحـاجب الحبشـى الواقـف ديدبانـا علـى مدخـل القصر ..

وهنـا صمـت كـل شـىء ، وتحلـق الواقفـون حـول مدخـل القصر منتظمين فى صفين متقابلين بينهما ممر ، واشـرأبت أعنـاق الواقفين فـى الصفـوف الخلفيـة فـى محاولـة بائسـة لرؤية القادم المظفر ..

سـاد صـمت ..

ترقـب ..

نظرات تتساءل ..

حتـى دوت موسـيقى النصـر الحماسـية مـن الفريـق الموسيقى ، ودخـل علـى إثرهـا الملـك (تحتمـس) متصدرًا الموكـب ، بمنكبيـه العريضيـن وقامتـه الطويلـة وملامحـه الغليظة فى وسـامة غير خافيـة ، وبتـاج الوجهين البحـرى والقبلى يكلل هامته الممشوقة ، وبالعباءة المذهبة يجرجرها فوق الأرض من خلفه ، ومن خلفه أيضًا يجرجر ابنه وقـائد الجيش وأفراد البطانة ..

اتفجـرت الهتافـات فجـأة ، وكـاد الواقفـون يزوعـون حناجرهم ..

ـ عاش الملك ..

ـ عاش المنتصر ..

ـ عاش ابن القمر والشمس وسليل النجوم ..

وتبادل (إمحتب) و(إننى) نظرة قبل أن يعترضا طريق الملك كـل مـن جهـة ، فيضـع كـل منهمـا راحتـه علـى كتفـه ويجثو على ركبته ..

ـ للسماء الحمد على عودتك سالمًا يا مولانا ..

بتنـاغم نـادر تلفظـا بهـا ، وكأنهمـا شـخص واحـد لـه صوتان ، فتبسم الملك فى سعادة وهـو يربت علـى كتفيهمـا ويقول بصوته الأجش ذى البحة المحببة :

ـ بوركتما أيها المخلصان !

نظر نحوهمـا (وازمـس) مـن خلـف كتـف أبيـه وقـال بصوته المراهق المشروخ :

ـ هل سارت الأمور على ما يرام فى غيابنا ؟!

تبادلا نظرة خاطفة ، ثم أبعد (إننى) عينيه عن وجه الفتى الأرعن الذى أكله النمش ؛ ليقول وهو ينهض مخاطبًا الملك :

ـ البلاد تفتح لك ذراعيها يا مولاى ..

أتبعه (إمحتب) بالقول وهو ينهض بدوره :

ـ والتاريخ بانتظار أن يُكتب !

أشاح (تحتمس) عنهما وهو يخترق طريقه نحو مقعد عرشه المنحوت من الجرانيت فى صدر البهو ، وقال :

ـ لا تحدثنى عن التاريخ وأنا أحاول أن أكون سعيدًا !

تبعه موكب الحاشية ، وحاول (وازمس) أن يتقدم إلى موقعه خلف أبيه ، لكن أكتاف الرجلين حالت دون ذلك ، فعض على شفتيه مغتاظًا بينما (إمحتب) يقول :

ـ التاريخ هو الذى يحق له أن يسعد بك يا مولاى ..

وأتبعه (إننى) بالقول :

ـ مثلك ولد للمجد والخلود برغم أنفه ..

تسمر (تحتمس) محملقًا فى مقعد عرشه ، الذى وقفت

بجواره زوجته الباسمة (أحموس) ، وابنه الكاهن (أمنمس) المبتسم فى هدوء ، وابنتاه (نفروبتى) و(حتشبسوت) فى هيئتين متناقضتين تمامًا ، وجميعهم على أهبة الترحيب ..

ربما لم يلحظ (تحتمس) وجودهم ، ربما شرد للحظة مفكرًا فى قضية المصير ، ربما رآهم وملأ ناظريه وعقله وقلبه منهم ، قبل أن يغمغم وكأنه يخاطب نفسه فى لحظة مصارحة نادرة :

ـ وما المجد ؟! وماذا يكون الخلود ؟! إنهما ليسا إلا استطاعتك أن تحقق ما لم يسبقك إليه أحد ..

وتسللت نبرة متهكمة إلى صوته وهو يقول :

ـ .. ولو كانت عودتى من بلاد يسير فيها النهر بالمقلوب مجدًا وخلودًا ، فطوبى إذن للتافهين !

سأله (أمنمس) مستغربًا بصوته الرفيع :

ـ أى نهر هذا الذى يسير بالمقلوب يا أبتاه ؟!

حدق (تحتمس) فى ملامح ابنه النجيب وقال باسمًا :

ـ البلاد التى عدت منها يا بنىَ التوّاق إلى العلم ، النهم

إلى المعرفة .. فى بلاد (نهرينا) هناك نهران يسيران بعكس مجرى (حابى)(*)، رأيتهما بنفسى ورجالى ..

قال (وازمس) فى ما يشبه الهتاف :

ـ وأنا أيضًا !

نظر نحوه (تحتمس) بنصف عين وهو يغمغم فى صوت غير مسموع :

ـ ابنى الأكبر ؛ المحارب !!

فرد (إمحتب) ذراعيه وهو يقول فى لهجة مسرحية مبالغ فيها :

ـ سننقش إذن حجر النصر ، وندون فوقه ما يلى (لقد جعلت حدود بلادى ممتدة كدائرة الشمس ، وجعلت الخائفين أقوياء شجعان ، بطردى عنهم الشر والذل والمسكنة ، فأضحت بلادى سيدة العالمين ..) ..

(*) حدث هذا فعلاً ، فأثناء فتح الملك (تحتمس الأول) لبلاد العراق (نهرينا) ـ عندما هددت جيوشها الحدود المصرية التى أرساها والده (أمنحتب الأول) ـ استغرب هو وقادة جيشه من رؤيتهم لنهر (الفرات) الذى يسير مجراه من الشمال إلى الجنوب بعكس مجرى نهر (النيل) الذى يسير من الجنوب إلى الشمال ، لذا فقد تم تدوين الحملة بذكر (أطراف الماء المنعكسة) فى بردية شهيرة .

نظر إليه (تحتمس) مليًا قبل أن يقول :

ـ مازلتم تهوون تمزيق الأمور وتحميلها أكثر مما تحتمل !

قال (إننى) :

ـ الحقيقة تجاوز ذلك بكثير يا مولاى ..

هتف به الملك :

ـ بل تقل عن ذلك بكثير .. قل لى يا رجلى الأمين ، ما الذى فعلته حتى الآن لأستحق كل هذا ؟!

توتر البلاط ، وابتلع الواقفون ريقهم ، فيما توقفت الموسيقى والرقص ، وبلغت المحاولات حد كبح الأنفاس نفسها ، والقلوب عن الوجيب ..

واصل الملك المنفعل :

ـ لم أفعل أى شىء أكثر مما فعله أبى الملك العظيم المظفر الفارس الفرعون (أمنحتب) .. كبح هو ثورات الجنوب فى (كوش) وكذا فعلت أنا ، أخمد القلاقل فى الشرق وأدّب القبائل العاصية وكذا فعلت أنا ، مد زحفه نحو الغرب عند (التحنو) و(التمحو) وسرت أنا على إثره .. كل ما سيذكر التاريخ عنى هو سطر يقول هذا الشبل من ذاك الأسد !

حاول الرجلان أن ينطقا :

ـ ليس الأمر بهذا السوء يا ...

لكن الملك كان أسبق بإسكاتهما :

ـ لاتهونا علىّ أمورًا قتلت التفكير فيها وقتلنى .. ليجبنى أحد عن السؤال : ماذا يمكن أن أصنع أكثر مما فعل سلفى نحو الخلود ؟!

ـ السلام !

أتى الرد ممن لم يتوقع منه الرد بتاتًا !

ـ (حتشبسوت) ؟!

التفت نحوها مبهوتًا ، فى وقفتها بقامتها الضئيلة وزى الفرسان بجوار العرش المهيب ، وكانت مستمرة فى الإدلاء بدلوها :

ـ الخلود ليس حربًا فقط ، لكنه سلام أيضًا ، ولعمرى فإن خير السلام أكثر نفعًا وأقل ضررًا من شرور الحرب العمياء !

تبادل (إمحتب) و(إننى) نظرة قلقة ، قبل أن يحاول (وازمس) التهوين من قولها والتهكم :

ـ ماذا تقول هذه الـ ... ؟!

لكن ما أسكته ألجم ألسنة الجميع ، فقد توجه الملك فى تؤدة نحو فتاته ، وحملها كالعصفور بين يديه القويتين ، وكادت الشهقات تفلت من الواقفين عندما رأوه يُجلسها فوق العرش ، ويجثو مستندًا بمرفقه على ركبتيها ..

ـ محقة أنت !

قالها الملك (تحتمس) باسمًا ، غير عابئ بالأتون الذى التهب خلف ظهره ..

وكانت (حتشبسوت) تبتسم أيضًا !

★ ★ ★

٣ـ قـدر..

برغم عناد القدر ..

ويأس الأمنيات ..

اخترت صولجانى بيدى

وسطرت اسمى بماء الذهب

على صفحات التاريخ ..

المجد ..

الخلود ..

★ ★ ★

كانت تقف هناك فى سمتها الهادئ وملامحها البريئة وشعرها الطويل المنسدل ليلاً على ظهرها ، متدثرة بعباءتها التى تضيف فوق غموضها الأنثوى المحبب غموضًا أنثويًا محببًا ..

ـ (نفرو) ؟!

ندت عن (محب) فى غمغمة سارع بابتلاعها ، ولاحظ لين (حورى) معها إذ قال مصافحًا :

ـ تسبقيننا فى المجىء كالمعتاد ..

ولاحظ بسمتها المشرقة المتنافرة مع كآبة الجو المحيط وهى تجيبه :

ـ برغم بعد المسافة !

لو كان هناك مجال للانسحاب لانسحب ، لكنه الأمير (تحتمس) بنفسه يهتف والجًا عبر الستار الكثيف الذى اجتازه ورفيقه من فوريهما :

ـ هذا مخدع الملكة !

مشعلان على جدارين متقابلين يكشفان الكثير برغم ظلام الليل المحدق من النافذة الكبيرة ..

السرير الواسع فى منتصف الحجرة الواسعة ، المغموس فى رنين الذهب ، والمغطى بقماش شفاف يخفى ويبين .. صناديق الحاجيات المزركشة والمغطاة بالنقوش والرموز والألوان المبعثرة .. الطاولات المنحوتة والتماثيل الماثلة فى سكون وبرودة الليل القارس ..

(حورى) هو أول من تجرأ وسأل :

ـ هل دخلت مخدعها الليلة لتنام ؟!

حدق الأمير (تحتمس) فيه مليًا ، قبل أن ينقل بصره إلى (محب) الغارق فى صمت يشبه الشرود ، ثم إلى (نفرو) بعينيها الكحيلتين الواسعتين ، وحسم أمره ـ مقررًا بينه وبين نفسه أن يضع فيهم ثقته كما فعل مسبقًا ـ فقال :

ـ لم تكن تغادره إلا لمامًا فى الآونة الأخيرة ..

سألت (نفرو) من باب الاستيثاق :

ـ الأيام الأخيرة ؟!

كان رد الأمير مفحمًا :

ـ بل السنوات .. السنوات الأخيرة ..

سأل (محب) ناهضًا كالعنقاء من تحت رماد شروده :

ـ الوصيفات .. من آخر من رآها منهن ؟!

كان رد الأمير مفحمًا :

ـ وصيفتها العجوز الوحيدة اختفت معها !

قال (حورى) محاربًا جيوش الحيرة ومبددًا ضباب الغموض :

ـ من كان آخر من رآها إذن ؟!

وتبعته (نفرو) على الفور :

ـ ومتى ؟!

ولم يسمع أحد منهم ما قاله (محب) لنفسه فى نفسه : توافق يثير الحسد !

صمت الأمير قليلاً ، قبل أن يجىء رده غير المفحم بما يكفى :

ـ كان هذا منذ فترة !

مندهشًا قال (محب) :

ـ فترة ؟!

تنهد الأمير (تحتمس) ، وعاد لصمته قبل قراره بأن يستطرد :

ـ آثرت الملكة الأم فى سنواتها الأخيرة أن تنعزل عن الحياة العامة والناس جميعًا ، وأبعدت ـ بأوامرها الخاصة ـ كل من يرغب فى لقائها أو التحدث معها أو حتى النظر إليها من قريب ؛ لتكتفى بالعيش فى مخدعها المنعزل هذا مع وصيفتها الوحيدة التى تقضى لها حوائجها وتؤنس وحدتها ..

قالت (نفرو) مندهشة بدورها :

ـ معنى هذا أنها يمكن أن تكون قد اختفت منذ فترة طويلة دون أن يشعر أحد !

هز الأمير (تحتمس) رأسه نفيًا ، وهتف كما لو كان يدفع عن نفسه اتهامًا :

ـ هذا غير وارد ، فوصيفتها كانت تُرى بصفة شبه يومية داخلة أو خارجة عبر ستار المخدع ..

سأل (حورى) مقطبًا :

ـ متى شوهدت الوصيفة آخر مرة إذن ؟!

قطب الأمير بدوره ، وقال فى بطء ـ دون أن ينتبه لـ (محب) الذى دنا من السرير الكبير رافعًا بيده ستاره الشفاف دون أن يدعوه لذلك أحد ـ :

ـ (سوترا) ؟! أعتقد أننى رأيتها بنفسى صباح اليوم وهى عائدة من الخارج ..

سألته (نفرو) بتلقائية :

ـ تعتقد ؟!

هز (تحتمس) كتفيه وقال فى استهانة :

ـ فى القصر عشرات الخدم والوصيفات لو كنتِ تدركين شيئًا كهذا ..

قال (حورى) عاقدًا ساعديه فى صرامة :

ـ أى أنه لا شىء مؤكد يا سيدى !

نظر الأمير إليه فى قوة واستنكار ، فمن هذا الذى يحدث ملك مصر المتوج منذ الليلة بهذه الطريقة ؟! غير أن ملامح (حورى) لم تلن وهو يبادله النظرات بأقوى منها ..

لكن الأمير/ الملك فكر فى لحظات وتدبر ، وآثر فى النهاية أن يقول فيما يشبه الأسى :

ـ أجل يا فتى ، لا شىء مؤكد على الإطلاق !

ـ هل عبث أحد فى الحجرة قريبًا ؟!

التفتوا إلى (محب) الواقف بجوار السرير رافعًا ستاره بيد ، بينما اليد الأخرى تقبض على شىء ما ..

أجاب (تحتمس) سؤاله وهو يتأتئ نفيًا :

ـ كلا ، رجالى ممنوعون من الدخول إلى هنا بأوامر منى شخصيًا ..

قالت (نفرو) موضحة :

ـ رجالك أو غيرهم ..

هز الأمير كتفيه وعاد يقول كأنه يدفع عن نفسه تهمة لم يوجهها إليه أحد :

ـ من يجرؤ ؟!

مد (محب) نحوه يده بالشىء الذى يمسكه سائلاً :

ـ ماذا الذى يدفع الملكة لترك هذا على سريرها إذن ؟!

جسم معدنى طويل برأس مفلطحة ، ذهب حيل لونه وانطفأ بريقه بفعل الصدأ والأيام ..

ـ الصولجان ؟!

غمغم بها (تحتمس) ثم انعقت التنهيدة من سجن صدره ..

لابد أن تُروى القصة من بدايتها إذن ..

لابد !

★ ★ ★

مرتديًا منامته الكتنية البيضاء جلس الملك (تحتمس) على المصطبة الأرضية الدانية ، متأملاً بعينيه الحادتين أولاده الأربعة الماثلين أمامه فى صمت وتبجيل ..

(وازمس) ، وجه النمش وطموح لا تزكيه قدرة ..

(أمنمس) ، كهنوت وعلم بلا ذراع أو سيف ..

(نفروبتى) ، ابنة النسيم والأزهار وقوس قزح ..

و(حتشبسوت) ، ضحية أزمان قديمة وأنوثة ..

نسله الشرعى من الملكة الشرعية لبلاد لا تعترف بغير الشرعية ..

ـ يطرب قلبى بين الضلوع لرؤيتكم ..

يقولها مداعبًا الشعيرات الشائبة فى فوديه ، والتى تذكره دومًا بأن الكهولة تخيم على سمائه كأنها ليل أبيض فى بدايته ..

أمامه منضدة صغيرة اعتاد أن يدون فيها أوراقه الخاصة ، وأن يختم فوقها أوراق المملكة المهمة بجعرانه المنقوش عليه خرطوشه ..

أمامه على المنضدة أربعة أشياء ..

ـ هدايا لكم من فتوحاتى الكثيرة عبر البلاد التى ردتها بسيفى وجيشى وخيولى ..

أشار على الترتيب ..

ـ .. حسام قاطع ، كان لأمير من أمراء الشرق ذوى الوجوه المليحة والفروسية التى لا يشق لها غبار ، قتل به نفسه عندما شعر بأن الأسر قد أضحى قاب قوسين منه أو أدنى ..

ثم ..

ـ .. كتاب الطبيعة ، الذى دونه أعظم علماء الشمال ، وأهداه إلى أمير (التمحو) ، وعندما أسرناه إذ شق عصا الطاعة على والينا لديه عثرنا عليه بين حاجياته ، واقتتل كهنتنا على حيازته ؛ ففيه من آيات العلم وعجائبه ما تعجز عن وصفه الألسن الضعيفة ..

إلى ..

ـ .. وهذه قلادة من أحجار الأرض الكريمة ، انظروا إليها كيف تتلألأ وتتوهج بالرغبة المستحيلة فى التحرر من قيود الزمان والمكان ، كانت لأميرة جنوبية حسناء تركت الجاه فى سبيل محبوبها ، وبقيت حتى عثرنا عليها فى قصر أمير (كوش) إبان غزوتنا الأخيرة لقبائل الجنوب العاصية ..

وأخيرًا ..

ـ .. الصولجان ، قطعة نفيسة من الذهب المصهور بالنحاس ،

تركها لنا الرعاة قبل أن يغادروا البلاد مدحورين على يد الجد البطل (أحمس) ، ولم يفارق كفه القوى حتى مات ، كأنه يريد دائمًا أن يتذكر أنهم مازالوا فى الجوار ، كشوكة فى ظهورنا تمنعنا من الإحساس الجميل بالأمان ..

ورفع نحوهم بصره مجددًا ليقول :

ـ .. لكل منكم هدية ينتقيها ليتذكرنى بها عندما أغيب فى عالم الغروب البعيد ..

تمنّعوا تأدبًا وربما حرجًا ، فأشار لبكريه :

ـ .. ابدأ أنت يا (وازمس) ..

تقدم الفتى ببسمة شرسة ، كشفت عن صفين من الأسنان الصفراء القذرة ؛ ليحمل الحسام على راحتيه كالجنين ، ثم يقبض عليه بأصابعه حتى كاد ينبثق منها الدم ..

ـ الحسام ، صديق الفارس المغوار ..

هز الملك (تحتمس) رأسه وقال مؤمنًا :

ـ هو كذلك ، أنت الفارس يا فتى !

ثم تقدم (أمنمس) بعينين تطفحان بالشبق ، وحمل الكتاب إلى ذراعه مقلبًا فى برديانه المصفرّة ..

ـ بى رغبة حارقة لالتهامه ..

وأمّن والده على قوله :

ـ أخشى أن يحرقك العلم بنيرانه يومًا !

وجاء الدور على (نفروبتى) التى حملت القلادة لينعكس وهج ألوانها على صفحة وجهها الرائقة ، فانطبقت رموشها الطويلة التى غرق الكحل فيها على عينيها الحالمتين ..

ـ قلادة تبعث الروح فى النفس العليلة ..

هز (تحتمس الأول) رأسه وقال :

ـ هذه فتاتى !

ثم (حتشبسوت) ..

تقدمت الهوينى ، وحملت الصولجان ، ضمته بقبضتها إلى صدرها وهتفت بلهجة قوية :

ـ كنت سأختاره حتى لو وقع اختيار غيرى عليه ..

هز رأسه طويلاً هذه المرة ، ولاح طيف ابتسامة بعيد على شفتيه الجافتين قبل أن يقول :

ـ ومن يمكن أن يحدس غير هذا ؟!

★ ★ ★

أحراش الدلتا كفيلة بإخفاء الكثير عن العيون الراصدة ..

ـ إن الشمس تموت فى الغرب يا مولاى ..

قالها أحد أعوان الأمير (وازمس) الذى مازال يصوب رمحه نحو الأحراش الكفيلة بإخفاء الكثير عن عيونه الراصدة ..

ـ لن أعود إلا بصيدى !

نظر التابع إلى صندوق يحمله تابع آخر فوق صهوة جواده ، وكذب قائلاً :

ـ حصاد اليوم وفير حقًا ..

قال (وازمس) دون أن يلتفت نحوه :

ـ منافق !

أحس التابع بريقه الذى يبلعه وكأنه سكاكين تجرى فى حلقه ، وحاول أن يقول :

ـ إن الظلام خطر فى هذه الأنحـ ...

ـ هششششش !

أسكته الأمير وجه النمش ، وأشار إلى جهة من الأحراش تتصاعد منها خشخشة ما ..

ـ ما هذا ؟!

قال (وازمس) باسمًا :

ـ حصاد يومنا الوفير يا رجل !

قال التابع متوجسًا :

ـ ربما كان ثعبانًا ، أو تمساحًا أو...

قاطعه سيده :

ـ ليكن ، سيزيد هذا من قيمة الصيد أيها الجاهل !

وعلت الخشخشة أكثر وأكثر ..

واقترب (وازمس) منها أكثر وأكثر ..

ـ مولاى ، أرى أن ...

عندما ..

ـ مولاااااى !

اخترق السهم عنق الأمير (وازمس) ، فأرداه صريعًا في الحال على صهوة جواده ، بين أحراش الدلتا الكفيلة بإخفاء الكثير عن العيون الراصدة ..

★ ★ ★

ألسنة النار فى صحن المعبد ..

والليل أسود ..

(إمحتب) الكاهن يقف أمام التابوت ، يتلو من (كتاب الموتى) سفر (أوزوريس) ..

وتعلو الصيحة من الخارج ، والهتاف ..

ـ مولاى الملك ، انتظر .. إن ..

يقتحم الملك (تحتمس) المعذب المعبد ، وخلفه رجله (إننى) يحاول إرجاعه ..

وتموت الكلمات على الشفاه عندما يتعلق الملك بحافة التابوت ، محدقًا فى مومياء وريث العرش الميت ..

وتحيا العبرات فى الحزن ..

والليل الأسود ..

★ ★ ★

سنوات ..

★ ★ ★

ـ كاهن آخر على عرش البلاد ؟!

ـ (أمنمس) ؟! ضاعت وضعنا إذن ..

ـ لننتظر ونرى ..

وكانت الفتاة تتسمّع ..

وتسمع ..

★ ★ ★

ليلة أخرى بلا قمر ..

حرارة الطقس ولهب المشاعل ..

(أمنمس) يقرأ فى كتاب الطبيعة ، يفك رموزه المستعصية منذ زمن طويل ، عاكف فى صومعته على القراءة والنهل من محيط الأسرار ..

فى يده كأس الشراب ..

وعينان تراقبانه من بعيد ..

★ ★ ★

نهار آخر يغمره دفء الشموس ..

حرارة الطقس وهج الصيف ..

(أمنمس) مستلق فوق كتابه ، يداه ممددتان إلى جواره ، عيناه جاحظتان ولا أنفاس فى داخل الصدر تتردد ..

كأس الشراب أفرغ محتواه السائل على رخام الأرض ..

والكهنة من حوله متحلقون ..

★ ★ ★

الجنازة مهيبة ، جموع الشعب تعبر خلف الملك الثاكل نحو شاطئ النسيان الغربى ..

الملك (تحتمس) عاجز عن كتمان دمعه الهتون ..

الملكة (أحموس) قتلها الثكل على فلذتى كبدها ، فماتت حية ، وعاشت ميتة ، وأقعدها موت الحياة وحياة الموت عن السير مع السائرين ..

(نفروبتى) شمعة تحترق بالعبرات ..

و(حتشبسوت) صلبة كقلعة فى مواجهة الغزو ..

أما رجلا الدولة ، فالكثير من شئون الدولة كانت تعبر برأسيهما معًا ـ فى توافق يثير الحسد ـ برغم الألم الذى يعتصر القلوب ..

الكثير من الأمور التى تستحق ..

★ ★ ★

شهور ..

★ ★ ★

ـ من بعد موت الوريثين ؟!

ـ العرش مهدد بالزوال ..

ـ والملك (تحتمس) على وشك الانسحاق تحت وطأة الشيب والعجز ..

ـ والحزن ..

ـ لنأمل ألا تضعف شوكة البلاد ..

ـ البلاد أقوى من أن يضعف شوكتها حفنة من الرجال !

الفتاة تسمع ..

وتتسمّع ..

★ ★ ★

تطير فى الهواء ..

تغمض رموشًا طويلة على عينين حالمتين ..

تحلق مثل عصافير الجنان ..

ويكون التصادم هينًا ..

تنفتح الرموش أخيرًا على مرأى (إيزيس) جميلة الحسناوات :

ـ مرحبًا بك يا فتاة ، لماذا أتيتِ مبكرًا ؟!

★ ★ ★

ـ ثالثة الأثافى !

يهمس بها (إتنى) ..

ـ الصدمة قوية هذه المرة حقًا ..

يهمس بها (إمحتب) ..

ـ هل يتحملها قلبه الضعيف ؟!

يسيران فى أروقة القصر الواسع ..

ـ أعجز الفراق لسان الملكة (أحموس) فباتت بكماء ..

نحو غرفته بالتحديد ..

ـ قلبى يأكلنى خوفًا من المستقبل ..

غرفة الملك المريض ..

ـ أى مستقبل ؟! لاشىء يسير كما نخطط له على الإطلاق ..

ويصطدم البصران بها واقفة كالوتد أمام ستار المخدع ..

ـ ماذا تفعلين هنا يا فتاة ؟!

ترفع نحوهما عينين يشع منهما زجاج الدموع ..

ويتصاعد الصوت الصارم كالخوف ..

ـ مات الملك !

★ ★ ★

٤ـ آخَـــر ..

أخذنى أبى معه فى زورق الغروب ..

رأيت بلادى من فوق السحاب ..

قال للفلاحين والنبلاء المتحلقين حول الماء

عند ضفتى الحياة والموت ..

هذه ابنتى المقدسة

التى سوف تتوج بتاج الوجهين

عندما تصبح امرأة ..

★ ★ ★

راحت السكرة ، وجاءت فكرة الفكرة ..

العرش قطعة حجرية بلا روح ..

والرجال والنساء من حوله ينظرون ويفكرون ويضربون أخماسهم فى الأسداس ..

على جانبى العرش وقف الرجلان ..

قال (إننى) :

ـ اليوم نرثى مليكنا المحبوب ، ونضيف إلى اسمه صفة (الأول) ..

وقال (إمحتب) :

ـ ونهَب عرشه لمن يستحقه من أبنائه ..

فاضت أحلام (حتشبسوت) بالنشوة برغم السواد ، وتقدمت من الرجلين الواجمين كأن على رأسيهما أسراب من طيور ..

قالت :

ـ العرش لى !

ابتسم (إمحتب) فى شفقة ، وخاطبها (إننى) بلهجة محايدة لم تخل من تهكم :

ـ العرش والنساء كالماء والزيت ..

قالت الفتاة التى تكاد تبلغ مبلغ النساء :

ـ أنا آخر الباقين من أبناء الملك الراحل ، ولن يخلفه على العرش إلا أبناؤه !

قال لها (إمحتب) مهونًا :

ـ الباقيات يا فتاة ، لا تنسى أنك فتاة برغم ما تلبسين وتظهرين ..

وتبعه (إننى) بالقول :

ـ ونحن أدرى منك بالتقاليد ، فنحن من شارك فى صنعها وإرسائها ..

هتفت فى غضب احمرت له وجنتاها الخمريتان :

ـ تقفان فى طريقى إلى العرش إذن لمجرد أنى امرأة ؟!

(إمحتب) فى تهوين :

ـ لسنا نقف فى طريقك ، وليس كونك امرأة بالشىء القليل !

و(إننى) ملوحًا بذراعيه فى الواقفين حولهم :

ـ ولسنا وحدنا على هذا الرأى ، المملكة كلها لن تقبل بخرق صريح لنواميسها القائمة منذ عهود الأجداد وأجداد الأجداد ..

جالت (حتشبسوت) بعينيها فى الرجال الواقفين ، والسيدات

المتأنقات ، الكهنة والكاهنات ورجال الدولة من وزراء ونبلاء وقواد وفناتين .. عيون الجميع تخشى منها ومن مواجهتها ، لكنها تحمل اعترافًا صريحًا بأنهم يقفون خلف الرجلين الذين يزمعان الحفاظ على القانون ..

حاولت أن تتشبث بأطراف حلمها ، وجنون طموحها :

ـ جدى نفسه لم يجلس على العرش إلا تحت وصاية امرأة ، وكذلك أبى لم يتول العرش بصفة شرعية إلا بعد زواجه بأمى(*)!

قال (إمحتب) :

ـ وستظل الأمهات والزوجات تلعن أجلّ الأدوار فى تاريخ بلادنا من وراء حجاب ، دون أن يكنّ ملكات لهن ما للملوك من حقوق جسيمة وأعباء هائلة ..

(*) صحيح ، فجد الملكة (حتشبسوت) الملك (إمنحتب الأول) تولى العرش ولم يكن قد بلغ بعد مبلغ الرجال ، لذا فقد كانت أمه الملكة (أحمس نفرتارى) هى الوصية على العرش لفترة طويلة من الزمن ، والملك (تحتمس الأول) الذى خلفه لم يكن وريثًا شرعيًا للعرش ؛ إذ كان ابنًا لزوجة غير ملكية ، وقد وصل إلى العرش عن طريق اقترانه بالملكة (أحموس) التى يرجح أنها كانت شقيقة الملك السابق (إمنحتب الأول) ..

وقال (إننى) من بعده :

ـ هذه دورة الكون الأبدية لا تبديل لها ..

انفجرت (حتشبسوت) فيهما على الرغم منها :

ـ تبًا لكما ، تريدان حرمانى من حقى فى اعتلاء العرش لينالـه أحدكما لنفسه ..

ولم يقابلا اتهامها بغير الابتسام ..

ـ من قال لك هذا يا فتاة ؟!

دق قلبها فى عنف ، وخوف من قول (إننى) ..

ـ إن عرش البلاد سيبقى لنسل الملك (تحتمس الأول) ابن القمر ..

قالها (إمحتب) وهو يرفع ذراعيه لأعلى فى إعظام ، فغمغمت (حتشبسوت) وعقلها يجاهد للفهم وإدراك ماهية الفخ :

ـ كيف وأنا لن أكون عليه ؟!

هتف الاثنان فى صوت واحد ، كأنهما أعدا العبارة سلفًا :

ـ لن يخلف مولانا (تحتمس الأول) إلا مولانا (تحتمس الثانى) !

ران الصمت الوحشى على القاعة ، وأغرق فيضان التأملات الجميع ..

وحدها (حتشبسوت) استطاعت أن تنطق بها :

ـ من ؟!

قال (إمحتب) دون أن ينظر لها ، غارقًا فى تشنجات البدايات والنهايات العظيمة :

ـ (تحتمس) ابن الملك (تحتمس) من وصيفته (موت نفرت) ..

الاستنكار البشع :

ـ ابن الوصيفة النوبية ؟! إنه وريث غير شرعى للعرش !

هاجمها (إننى) :

ـ مثل أبيه ..

وابتسامة هى الاصفرار بعينه :

ـ .. وسينال الصبغة الشرعية بزواجه منك يا عزيزتى ..

الذهول العارم :

ـ منى أنا ؟! لكنه متزوج بـ (إيزيس) الوصيفة التى ...

المقاطعة :

ـ سيكون زواجًا روحيًا صوريًا بين أخ وأخت ، صك يعتلى بموجبه العرش فى أمان !

صراخ :

ـ صك زائف ..

هتاف ثنائى :

ـ لتتقدس روح الملك الراحل بين جناحى (أوزوريس) الرحيمين ..

ونيران ..

★ ★ ★

تداعب أصابعه أوتار الهارب فى حنان .. رقة .. وداعة ..

موسيقى عذبة تنساب من ينابيع السحر الجميل ..

تتلقاها كفاها فى مودة .. وحب ..

ـ التوت الذى تحبه ..

(إيزيس) جميلة ، شعرها غابة قمح ، عيناها سيفان

كحيلان ، أنفها نقش هيروغليفى ، فمها عنقود عنب بناتى ، وجسدها سبحان من سواه على استدارته ..

ـ لا أحب سواك ..

(تحتمس) قطعة من قصيدة حب ، تنهيدة عاشق حتى أذنيه ، شعره ناعم ، عيناه نائمتان ، وجهه رائق كبحيرة فى المساء ، وفى حركته رعشة مجهولة المصدر ..

تمد (إيزيس) طبق الفاكهة نحوه ، فيغرق فى حسنها وينسى العالم والفاكهة ..

ـ قطعت عليك عزفك ..

ـ أنت المقطوعة التى أعزفها بعد ..

ـ حديثك يدوّخنى ..

ـ ليتنى أستطيع التحدث حتى مطلع الفجر لأوفّىَ ما فى القلب بحقه ..

ـ لكأنك لم تحزن لفقدان الأب العزيز !

يتوقف ، يطرق ، يتنهد ، يقول :

ـ الأب الذى لم أعرفه أبدًا ، والذى لم أقابله فى حياتى كلها سوى مرتين !!

ثم ينهمك فى العزف الحزين ..

تتركه حتى يفرغ ، تتظاهر بالهيام فى دنيا النغمات وعقلها فى واد آخر ، حتى تلمس أنامله الوتر الأخير ، قبل أن يذوب فى البعيد ..

ـ أنت لم تسمع الخبر إذن ..

ينظر نحوها مستغربًا :

ـ أى خبر ؟!

ـ ولايتك لعرش البلاد ..

ينهض ملسوعًا فتتناثر قطع التوت فوق الأرض وهو يهتف :

ـ أى مخرف قال هذا ؟!

تنهض خلفه قائلة فى هدوء :

ـ المرسوم يصدر بالفعل ، ويجرى الآن إعداده فى المعبد ..

تزداد الرعشة فى أطرافه ، وهو ينظر عبر شرفة القصر نحو المعبد الماثل من بعيد مغمغمًا :

ـ ولا يخبروننى ؟!

تهز (إيزيس) كتفيها وتقول لامبالية :

ـ بالتأكيد اعتبروا موافقتك أمرًا مفروغًا منه ..

يعود ليغمغم :

ـ ما هكذا تُعامل الملوك !

تقترب منه ، تعدل من هندامه فى دلال تعرف تأثيره عليه :

ـ إنها فرصتك يا حبيبى .. فرصتك التى جاءتك من حيث لاتدرى ..

مذهولاً :

ـ أى فرصة ؟!

ـ أن تصبح ملكًا ..

ينظر (تحتمس) إلى الهارب ..

ـ .. أن تصبح أقوى رجل فى البلاد ..

وإلى عينى (إيزيس) ..

ـ .. أن تعلو وتعلو وتعلو ..

وإلى المعبد من وراء الشرفة ..

ـ .. أن تحلق فى البعيد ..

ويغيب فى البعيد !

★ ★ ★

(أحموس) مومياء حية فوق سريرها ، وبجوارها (حتشبسوت) تمسك بيدها المعروقة ..

وتذرف الدمع ..

ـ سرقوه منى يا أماه .. سرقوا عرشى منى ..

(أحموس) ظِلٌ إنسان عاجز عن الكلام .. عاجز عن الحركة .. يسمع ويرى بصعوبة ..

ـ .. لكنى لن أصمت .. لن أصمت أبدًا ..

تنهض (حتشبسوت) وتتابعها عينا الملكة المدفونتان فى عظام الجمجمة ..

ـ .. من هذه الليلة تولد فى داخلى امرأة أخرى ، امرأة لا هم لها إلا الحصول على حقها ..

تزمجر كلبوة لها أنياب :

ـ .. العرش !

تدلف الوصيفة النوبية الشابة (سوترا) ، تحمل بين ذراعيها ثوبًا أنيقًا مطرزًا بالنقوش والجواهر ..

ـ الحفل على وشك البدء يا مولاتى ..

نظرت (حتشبسوت) إلى وصيفتها ، وإلى الثوب ، ثم قالت :

ـ لن أبدل ثيابى هذه ..

ترددت (سوترا) قبل أن تقول :

ـ لكن .. يا مولاتى .. أنت العروس !

صرخت :

ـ سحقًا لهم من عرس وعريس وعروس !

جفلت الوصيفة وانكمشت بالثوب ، فى حين لهثت (حتشبسوت) قليلاً قبل أن تجذب الثوب من يد الوصيفة وتقول :

ـ هاته ، الليلة بالذات لابد أن ألبسه .. الليلة بالذات !

تابعتها الأم بعينيها وهى تبدل ثوبها الرجالى بالنسائى ، وقلبها يخفق ..

يخفق حتى الموت !

★ ★ ★

احتفال ملكى آخر ينضح بالثراء والرفاهة والأريحية ..

طعام وشراب ورقص وغناء وكئوس تدور مع الحوارات الجانبية ، والعرش مازال خاليًا ..

ـ بصفة شخصية لم أكن أطمح لما هو أكثر من هذا يا عزيزى ..

قالها (إننى) ضاحكًا وهو يقرع كأسه فى كأس رفيقه (إمحتب) ، الذى جاوبه فى رصانة :

ـ الأمور مازالت تجرى فى أعنتها للآن ، لكن ..

وتنهد مكملاً :

ـ .. من يدرى ؟!

لكزه (إننى) فى كتفه صائحًا :

ـ احترق فى تشاؤمك يا صاح ، أما أنا فسأتمتع بكونى مازلت قيمًا على معمار المعبد والمسلات بالإضافة لمسئوليتى عن حقول القمح الملكية والقرابين والمبانى الحكومية بأسرها ..

لوح (إمحتب) بسبابته قائلاً :

ـ حذار يا صديقى ، فما من شىء يدوم للأبد ..

وهم (إننى) بمداعبته مرة أخرى ، لكن موسيقى النفير الملكى جعلت الجميع يتوجهون بأبصارهم نحو مدخل القاعة الغربى الذى دلف منه (تحتمس الثانى) فى رداء والده الفضفاض ـ عليه ـ وتاج الوجهين الذى يلتهم نصف رأسه ، فى إشارة واضحة لكونه الرجل غير المناسب فى المكان غير المناسب ..

إطلاقًا ..

كانت (إيزيس) تراقبه من خلف عمود ضخم فى الطابق العلوى على هيئة زهرة لوتس ، وشاهدت كيف تقدم منه الرجلان بعد أن ألقيا كأسيهما ليتقدماه فى تؤدة حتى أجلساه على العرش ، لكنها لم تحس بما شعر (تحتمس) عندما جلس ؛ لم تشعر برودة كرسى العرش وكأنها دبابيس تلسعه ..

وعاد النفير ينطلق ، ومن المدخل الشرقى برزت (حتشبسوت) ، لأول مرة فى ثوب نسائى مبهر ..

اتسعت الأحداق وسقطت الفكوك ، وتعالت الهمسات الجانبية ، فـ (حتشبسوت) ـ وهو ما لم يكن أحد يتوقعه بالمرة ـ كانت حورية من الجنة ، بل إن جمالها فى الثوب والزينة كان خاطفًا إلى الدرجة التى أوغرت صدر (إيزيس) عليها ، فدقت بقبضتها على العمود السميك إلى درجة آلمتها ..

وابتسم الرجلان فى رضا ؛ (إننى) و(إمحتب) ..

سارت الهوينى نحو العرش ، وجثت أمام الملك الجديد الذى أذهله مرآها ، لكنه تاق لمرأى حبيبته كأنه يريدها أن تنقذه من براثن هذه الساحرة ..

وعندما سارت (حتشبسوت) لتقف خلف مليكها وأخيها وزوجها الصورى ، عادت الموسيقى وعاد الصخب يجلجلان فى أنحاء البهو الملكى ..

ـ حذار يا عزيزى ..

همست بها فى أذن (تحتمس) ، فرفع نحوها عينين مذعورتين ..

واصلت الهمس الباسم :

ـ .. لن يدوم هذا كثيرًا ، وأنت تعرف ما أعنى ..

انعقد لسانه ، فيما تركته هى وهبطت تجول بين المدعوين وبجوارها وصيفتها (سوترا) ، وكاد الحنق يأكل (إيزيس الواقفة) بالأعلى بعد أن لمحت الهمس الدائر بينهما ..

هذه اللعينة تريد الاستئثار بالملك لنفسها ، لكن .. هيهات !

هكذا فكرت (إيزيس) ، وأضمرت أمرًا ..

ـ تكسبان !

قالتها (حتشبسوت) فى مواجهة من تعدهما غريميها ـ (إننى) و(إمحتب) قطعًا ـ وهى تتناول كأسًا من يد وصيفتها، وتجرعه دون هوادة ..

ـ ليست حربًا يا مولاتى الملكة ..

قالت فى غلظة لـ (إمحتب):

ـ لست ملكة .. إننى مجرد زوجة لملك أخرق!

قال (إننى) مستهينًا:

ـ لو كنت فى مكانك لاكتفيت بهذا الدور اللائق ..

ابتسمت فى مراوغة وقالت:

ـ لحسن حظى وحظك أن كلا منا فى مكانه!

وصوبت سهم نظرها إلى الشاب الواقف فى تأدب إلى جوار (إننى) متسائلة:

ـ من هذا ؟!

احمر وجه الشاب الأسمر ذى الملامح الرجولية والقوام الممشوق، فتراجع خطوة إلى الخلف تأدبًا فى حين أشار إليه (إننى) قائلاً:

ـ هذا (سنموت)، أحد أفضل المهندسين والعلماء الشبان

الذين عملوا تحت إشرافى، وبرغم حداثة سنه إلا أنه استطاع بذكائه ومجهوده أن يصل إلى درجة رفيعة لم يصلها أحد من أبناء جيله ..

رددت (حتشبسوت) كأنها تحفظ الاسم أو تجرب وقعه على لسانها:

ـ (سنموت) ..

نطق الشاب أخيرًا:

ـ فى خدمة مولاتى ..

والتقت النظرات التى قالت الكثير بينهما ..

الكثير جدًا!

★ ★ ★

٥ ـ تدابير ..

العرش لى ..

سيذكر التاريخ هذا

وسينسى كل ما عانيت فى سبيله ..

التاريخ يذكر وينسى

ونحن كذلك ..

★ ★ ★

ـ هناك حصانان ناقصان من الإسطبل ..

قالها الأمير (تحتمس) وهو يشير لهم إلى إسطبل الخيول المتدثّر بالليلة القمراء ، فهرش (محب) فى رأسه وهو يقول حائرًا :

ـ هربت الملكة إذن ؟!

قال (تحتمس) رافضًا :

ـ الملكة أضعف حتى من أن تسير بمفردها ..

أشار (حورى) بإصبعيه مذكّرًا :

ـ حصانان ..

سألته (نفرو) :

ـ تعنى الوصيفة والملكة ؟!

ضرب ذراعاه جانبيه وهو يقول :

ـ لا أعنى شيئًا محددًا ..

ثم التفت إلى الأمير سائلاً :

ـ .. ترى ، ما الذى يمكن أن يدفع الملكة الأم الطاعنة فى السن للهرب ؟!

قرأ (تحتمس) مغزى السؤال على صفحة وجهه ، لكنه أجاب فى رباطة جأش :

ـ لا أحد يمكنه أن يجيبك سواها !

تدخل (محب) ليفض الاشتباك قبل أن يبدأ :

ـ ماذا عن الاختطاف ؟!

التفت إليه (تحتمس) ليقول :

ـ ستكون سابقة فريدة من نوعها حقًا ، فمن ذا الذى يجرؤ على اختطاف ملكة من مخدعها ؟!

ألقى (حورى) بعبارة من النوع الذى يحمل أكثر من معنى :

ـ الطامعون كُثُر !

تجاهل الأمير قوله وواصل حديثه إلى (محب) :

ـ .. لا أحد فى العالم يتمتع بهذه الحماقة المنقطعة النظير !

عبارة من نفس النوع !

عاد (حورى) يسأل :

ـ ترى ، لم آثرت الملكة الأم الانقطاع عن العالم فى عزلتها الاختيارية لسنين طويلة ؟!

أكملت له (نفرو) :

ـ نعم ، خاصة وأن لها من الإنجازات فى الداخل والخارج ما يتوجها ملكة عظيمة حتى تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

انفعل الأمير (تحتمِس) أخيرًا هاتفًا بها :

ـ فى الداخل فقط ، فعلت الكثير فى الداخل حتى نسيت أن الأعداء فى الخارج يتربصون بنا من كل الجهات ، فى انتظار الإطاحة بجميع المنجزات التى تتشدقين بالحديث عنها ..

قال (محب) فى محاولة جديدة لفض الاشتباك :

ـ هذا هو الصراع الأبدى بين سياسة الحرب والسلام يا مولاى !

نكأت العبارة جرحًا فى أعماق (تحتمس) ، فأغمض عينيه متألمًا لهنيهة قبل أن يغمغم :

ـ السياسة .. نعم ، تلك هى اللعنة الحقيقية ..

وقبل أن يقال المزيد ، اقتحم الحصان الراكض سور القصر برغم أنف الحارسين الواقفين أمامه ..

اقتحمه قافزًا فوق السور الشاهق العلو ..

وجاوز صهيله أعنة السماء ..

ـ هذا واحد من الحصانين الناقصين ..

قالها الأمير بعينين اتسعتا ، وتبادل جنود (لوتس) الثلاثة نظرات عميقة ..

★ ★ ★

ـ الأوضاع من سيئ إلى أسوأ !

قالتها (سوترا) النوبية وهى تضع الطعام أمام سيدتها (حتشبسوت) التى أطربتها العبارة أيما طرب !

ـ هذا جيد يا (سوترا) ..

نظرت لها الوصيفة فى غير فهم ، وقالت فى أسى :

ـ ما الجيد فى هذا يا مولاتى ؟! لقد ضاقت المعيشة بالناس إلى حد كرهوا معه معيشتهم ..

برقت عينا (حتشبسوت) وهى تضع اللقمة فى فمها ، ثم قالت :

ـ وذلك بعد شهور قليلة من تولى الملك الجديد حكم البلاد ، أتعرفين ما معنى ذلك يا (سوترا) ؟!

أشاحت الوصيفة بذراعها وهى تقول فى ضيق :

ـ لا أعلم من معناه سوى أن الناس جياع ، وأن زوجى قد أفلس بعد أن بارت تجارته فى الأسواق ..

أمسكت (حتشبسوت) بذراعها لتقول فى تهوين :

ـ بشأن زوجك لا عليك ، أحضريه وسأجعله يعمل ها هنا فى القصر ..

أشرق وجه (سوترا) برغم سمرته ، وهى تقول :

ـ حقًا يا مولاتى ؟!

ـ حقًا يا وصيفتى !

لم تتمالك الوصيفة نفسها ، وأخذت تقبل (حتشبسوت) فى وجهها ولسانها يلهج بالشكر والثناء والامتنان ، عندما علت النحنحة من جهة الباب ..

ـ من ؟!

هتفت (حتشبسوت) ، وتعالى الصوت الرجالى القوى :

ـ (سنموت) ، لقد أبرقت مولاتى الملكة فى طلبى ..

أشارت (حتشبسوت) لـ (سوترا) بالانصراف السريع من الباب الآخر فامتثلت المرأة ، ونهضت الملكة لتعدل من هيئتها قبل أن تنادى :

ـ تستطيع الدخول ..

والتقت العيون مجددًا ..

ـ أمر مولاتى ..

قالها (سنموت) فى أدب وتوقير ، فاقتربت منه الملكة :

ـ سيرتك العطرة تفوح فى أنحاء المدينة أيها الشاب ..

ـ العفو يا مولاتى ..

ـ أريدك معى أيها الحاذق ..

رفع نحوها عينين التهمهما التساؤل وغشيتهما الحيرة ..

ـ .. أريدك ذراعى الأيمن .. ستطمئنى كل ما تعلمت ، وتكون مستشارى الخاص حتى ..

والتقطت أنفاسها قبل أن تتابع :

ـ .. حتى أصعد فوق عرش البلاد ..

صمت .. وصمت .. ومزيد من الصمت ..

ثم ..

ـ فى خدمتك يا مولاتى ..

وكافأته (حتشبسوت) بابتسامة :

ـ وبعدها سيكون لك شأن آخر معى .. المهم الآن أن نفكر فى كيفية تذليل العقبات نحو العرش .. كيف نضع العقبات والعراقيل فى طريق الملك وحاشيته من أجل إفشال هذه المرحلة من الحكم ؟! كيف يمكننى أن أكوّن حاشيتى الخاصة من رجال مخلصين مثلك ؟!

كان (سنموت) يستمع إليها بنصف أذن ، وبنصف عقل ..

وكان يتساءل بينه وبين نفسه عن سر خفقان قلبه بهذه الصورة المريعة بين ضلوعه ؟!

هل وقع فى حبها حقًا ؟!

وبهذه السرعة ؟!

★ ★ ★

اندفع (إمحتب) إلى ساحة المعبد حيث يعكف (إننى) على تشييد مسلة جديدة ، ولما رآه واقفًا بين العمال والخرائط هرع نحوه واختلى به ..

ـ هل بلغتك الأنباء التى تملأ (طيبة) ؟!

سأل (إمحتب) مفزوعًا ولاهثًا ، فأجابه (إننى) بلا انفعال :

ـ تمرد الجنوب ؟!

وهز كتفيه مردفًا :

ـ .. ما الجديد ؟!

هتف به (إمحتب) :

ـ الجديد أن الحكم يفقد مصداقيته ، وليس هناك (تحتمس أول) آخر ليقوم بهذه المهمة ..

ربت (إننى) على كتفه وقال محاولاً أن يغتصب ابتسامة :

ـ هوّن عليك يـا رجل ، الحملـة العسكرية جـار إعدادها بالفعل ..

ـ والملك ؟!

تساءل (إمحتب) ، فرد (إننى) عليه بسؤال :

ـ ماذا عنه ؟!

ـ سيبقى مع آلته الموسيقية اللعينة يتابع كل شـىء مـن شرفة القصر ؟!

ـ أنت تعلم أنه خلق لهذا ..

ـ لكنه لابد أن يخرج فى هذه الحملة !!

ـ وهل يقبل ؟!

أمسك (إمحتب) بكتفى صاحبه وهتف :

ـ سنجبره ، عليـه أن يظهر أمـام الشـعب بمظهر الملـك الحقيقى ، وإلا بدأت الأقاويل التى انتشرت منـذ بدء توليـه الحكم تأخذ حقها من الواقعية !

ـ أية أقاويل ؟!

ـ أننا نحكم من وراء ظهره !

ـ إنها الحقيقة !

حدق (إمحتب) مليا فى وجه (إننى) قبل أن يقول :

ـ أتعى ما تفوه به يا صديقى ؟!

لوح (إننى) بكفه قائلاً :

ـ لا عليك .. لا عليك .. إن كان ذهابـه مـع الحملـة سيطمئنك فاذهب إليـه وحدك .. أنا مطمئن تمامًا لأن كل شىء سـوف يسير على ما يرام ..

وابتعد ، تاركًا (إمحتب) يتابعه ببصره الذاهل ..

كلا يا (إننى) ..

لست على ما يرام ..

من فى هذا العالم يمكنه أن يقرر هذا أكثر منى ؟!

من ؟!

★ ★ ★

القىء والغثيان وتوق النفس إلى الأطعمة الغريبة ..

ـ إنها علامات الحمل الأكيدة يا (إيزيس) !

قالتها شقيقتها (شيرى) وهى تربت على ظهرها بعد نوبة القىء المفاجئ التى تداهمها باستمرار فى اليومين الأخيرين ..

ـ خمنت هذا !

قالتها (إيزيس) ، ومسحت فمها بمنديلها لتنهض معتدلة ..

غمزتها (شيرى) قائلة :

ـ ولى العهد فى الطريق إذن !

وضعت (إيزيس) كفها على فم شقيقتها وقالت :

ـ شششش ، إياك أن تبوحى بهذا السر لأى مخلوق !

قطبت (شيرى) :

ـ سر ؟!

ـ أجل ، حتى (تحتمس) لن يعلم به !

وأردفت قبل أن ترد (شيرى) :

ـ .. إلا فى الوقت المناسب !

★ ★ ★

موسيقى .. أنغام .. أوتار .. أناشيد .. عالم آخر من الفن والخيال والمطلق ..

(تحتمس الثانى) وقد تحرر من ربقة التاج وقيود رداء الحكم يجلس فى شرفته ، ويمارس عشقه الأبدى المبرح ..

أناشيد .. موسيقى .. أوتار .. أنغام ..

ـ عمت مساء يا جلالة الملك ..

شهق (تحتمس) ونظر بعينين مفزوعتين إليها ، وقد شق صوتها عليه خلوته مع معشوقته : الهارب ..

ـ (حتشبسوت) ؟!

واستدرك :

ـ .. أعنى .. جلالة الملكة ..

قالت وهى تستند بظهرها إلى حافة الشرفة المطلة على المعبد البعيد :

ـ عزفك جميل ، خلقت للفن لا للحكم يا شقيقى !

تبسم ضاحكًا وهو يقول :

ـ كل شىء فى هذه الحياة يلاحقنى ، وأنا لا ألاحق شيئًا بعينه ..

قالت فى رصانة :

ـ بعكسى تمامًا ، طوال عمرى أطارد حلمًا عصى المنال !

قال :

ـ الأحلام كالزئبق ، نطاردها ولا نفلح فى الإمساك بها أبدًا ..

قالت :

ـ قل إن الحلق يُعطى لمن لا أذن له !

وأسرعت بتغيير الموضوع إلى الهدف الذى جاءت من أجله :

ـ .. ألن تشارك فى الحملة العسكرية المنطلقة غدًا فجرًا إلى الجنوب ؟!

هز رأسه نفيًا ، ولم يزد حرفًا ..

ـ .. قرارك الأخير ؟!

هز رأسه بالإيجاب ، ولم يزد حرفًا ..

ـ سينعتك البعض بالجبن !

ـ ليقولوا ما يحلوا لهم ، أنتِ قلتِها بنفسك وهو أننى خلقت لشىء آخر !

هتفت فيه محنقة فجأة :

ـ لماذا قبلت بالعرش إذن ؟!

ـ وهل كان بوسعى رفضه ؟!

قالها مبهوتًا ، فعادت تصرخ فيه :

ـ كان العرش لى ، وأنت اغتصبته ..

ـ العرش للرجال يا مولاتى !

(إيزيس) تقف هناك أمام باب الغرفة ، بملابسها الحريرية الناعمة ومحياها الجميل المتحدى ..

ـ منذ متى تفهم الوصيفات فى هاته الأمور ؟!

قالتها (حتشبسوت) فى استهانة ثم وجهت حديثها إلى (تحتمس) الواجم :

ـ .. علم زوجتك الأدب قبل أن تضع التاج فوق رأسك يا .. يا ملك البلاد !

وغادرت المكان على الفور ..

ـ تركتها تهيننى ؟!

ـ حبيبتى أنا لم ...

حاول أن يرنو نحوها لكنها ابتعدت عنه كمن لسعه الحريق ، وأخذت تنشج وتصرخ :

ـ ابتعد عنى .. لا تلمسنى .. ابتعد عنى ..

وغادرت المكان بدورها تاركة إياه يمضغ وحدته المرة ..

ولأول مرة منذ ميلاده تقريبًا ، تعاف نفسه العزف ..

والموسيقى ..

والهارب !

★ ★ ★

ـ ماذا تقول ؟!

نطق بها (إمحتب) مبهوتًا ، فأعاد (إننى) العبارة على مسمعه :

ـ ما سمعت : انتصرت جيوشنا فى حملة الجنوب ..

أطلق (إمحتب) تنهيدة حارة أخرج معها كل مخاوفه وقلقه وهمومه ، ومسح رأسه الحليق بيده فى غير تصديق ..

ـ .. ألم أخبرك بأن كل شىء سوف يسير على ما يرام ؟!

ـ وهل علمت (حتشبسوت) ؟!

غمزه (إننى) وقد فهم مقصده :

ـ ومن يمكن أن يزف إليها ببشرى كهذه سواتا ؟!

★ ★ ★

تماسكت ..

نهضت ..

ابتسمت ..

برغم انهيار مخططها هتفت بالرجلين الواقفين أمامها ، والسعادة تتقافز من العيون الشامتة :

ـ نصر كهذا لابد أن يخلّد !

بدأت السعادة تتبخر من عينى (إننى) و(إمحتب) ، فى حين واصلت هى :

ـ .. تعلمان أن الملك لا يهبط إلى قاعة الحكم كثيرًا ، لذا فاعتبرا هذا مرسوما ملكيًا صادرًا منه ، بأن يتم تدوين وقائع الحملة والنصر باسم الملك (تحتمس الثانى) على لوح صخرى يزرع فى موقع المعركة ..

حاول (إننى) أن يقول وقد بوغت برد فعلها :

ـ لكن ..

التفتت (حتشبسوت) إلى (سنموت) الواقف بجوارها وقالت :

ـ (سنموت) ، يبدو أن الحرس سيتقاعس عن رفع اسم الملك الجديد ، عليك أنت القيام بهذه المهمة !

وتلاقت عينا الرجلين فى بحر رهيب من الدهشة ..

ـ إنها تلعب لعبة كبيرة ..

قالها (إمحتب) وهما يغادران القاعة ، فقال (إننى) محاولاً تهدئة أعماقه المضطربة :

ـ دعها تلعب كما يحلو لها ، العبرة بالخواتيم !

وفى غرفتها بلغت الثورة بـ (حتشبسوت) مبلغها ، فأخذت تحطم كل ما يقع فى طريق يديها وقدميها ، وهى تصرخ وتصرخ ، حتى إن (سوترا) تركت لها الغرفة بما فيها بعد أن أعيتها محاولات التهدئة ..

لم تصمت إلا عندما رأته ..

وأخذت تلهث بعمق وهى تنظر إليه ..

وتداعب سطحه بأناملها ..

صولجان الحكم الذى أهداها إياه لها أبوها منذ سنين بعيدة ..

★ ★ ★

٦ـ ضعف ..

ابنتى ..

مهجة الفؤاد العليل ..

وهمس النسيم العليل ..

وضحية الجسد العليل ..

★ ★ ★

نهار آخر ..

قال (سنموت) مخاطبًا مولاته التى أولته كل الثقة وأولاها كل ما لديه :

ـ إنهم يعدّون حملة أخرى نحو قبائل (الشاسو) فى الشرق يا مولاتى ..

قالت باسمة :

ـ مولاتى مرة أخرة ؟!

قال باسمًا بدوره :

ـ ستظلين مولاتى برغم كل شىء يا .. مولاتى !

رفعت نحوه المخطوطات المفرودة على حجرها وقالت :

ـ أنت الآن معلّمى ، وعندما أصبح ملكة رسمية سأجعلك تنقش على جدران معبدى أنك كنت مربىَ منذ كنت فى المهد ..

ـ هذا شرف ليتنى أستحقه !

ـ أنت تستحق أكثر من هذا يا (سنموت) ، وسيكون لنا شأن عظيم عندما نحكم هذه البلاد معًا بعيدًا عمن يصدعون رأسى ويعيقون طموحى من أمثال (إننى) و(إمحتب) و(تحتمس) ..

كرر قوله من باب التوكيد :

ـ هل سمعتِنى وأنا أقول إنهم يعدون حملة أخرى نحو (الشاسو) ؟!

مطت شفتيها امتعاضًا وقالت :

ـ ليفعلوا ما يحلو لهم ، فنهايتهم قد باتت وشيكة ..

ابتسم قائلاً :

ـ هل تنوين فرض خطتك قريبًا ؟!

ابتسمت قائلة :

ـ لن أكون وحدى ، معى أنت و(تحوتى) المالى الأبله زوج (سوترا) والكاهن الداهية الذى لا يلاحظه (إمحتب) .. اسمه (حبو سنب) !

انعقد حاجباه إذ قال :

ـ مالى أبله ؟! وكاهن داهية ؟!

قالت :

ـ هذان ضروريان .. المالى الأبله نصف الموهوب هو شخص بلا أطماع ، تستطيع أن تأتمنه على ثروات وكنوز وأنت مطمئن خالى البال .. أما الكاهن الداهية ـ بالإضافة لبعض الوصولية والانتهازية مع الولاء لحاكم واحد مما يتمتع به (حبو سنب) ـ فضروريان للسيطرة على مشاعر العامة الدينية ..

صفّر (سنموت) بشفتيه مأخوذًا قبل أن يقول :

ـ من الواضح أنكِ لم تنسى شيئًا ..

قالت ضاحكة :

ـ لا تنس ، أنت تتحدث عن قضية حياتى الأساسية ..

قال معتدلاً فى جلسته :

ـ ما لا أفهمه هو لماذا لا تحققين طموحاتك فى الحكم من خلال شخص زوجك الروحى والملك الحالى المتوج (تحتمس الثانى) ؟! خاصة وهو هامد ساكن لن يعارضك أو يعترض طريقك !

برقت عيناها ، وقالت فى لهجة أخافته بعض الشىء :

ـ المجد والخلود يا (سنموت) .. المجد والخلود هما مفتاح هذه اللعبة ، لعبة التيجان والعروش والصولجانات .. ماذا سأجنى لو صنعتهما لذلك الرقيق الحالم بالألحان والأنغام ؟! أين تذهب (حتشبسوت) فى هذا الزخم الهائل من كل الظروف المحيطة الضاغطة ؟! هل تفهمنى ؟!

التفتت إليه ونظرت فى عينيه وهى تسأله السؤال الأخير ، فسألها :

ـ أتستحق هذه اللعبة كل هذه السنين الضائعة من حياتك سدى ؟!

قالت دون أن يزول بريق عينيها :

ـ بل تستحق ما هو أكثر .. عمرى بأسره لو اقتضى الأمر ..

وتابعت ناظرة فى عينيه :

ـ .. لن تفهم ما أعنيه ، إن اللعبة هى التى تختارك ، نحن فى هذه الحياة لا نختار شيئًا !

هنا علا صراخ طفل رضيع من حجرة مجاورة ، فنهضت (حتشبسوت) كالملسوعة وهى تهتف :

ـ أستأذنك ، هذا موعد رضاعة ابنتى (نفرو رع) !

وانطلقت نحو مصدر البكاء كالسهم ..

★ ★ ★

حملت (إيزيس) رضيعها بين ذراعيها تلاعبه وتداعبه ، فى حين سألتها (شيرى) :

ـ إلى متى سيظل الأمر سرًّا يا (إيزيس) ؟!

قالت (إيزيس) دون أن تتوقف عن ملاعبة رضيعها ، (تحتمس) :

ـ لم يبق الكثير يا أختى .. لم يبق الكثير !

لم تفهم (شيرى) ، لكن ..

حسبها فهم أختها ، الغريبة الأطوار !

★ ★ ★

لاتطاوعه أنامله بسهولة فى مداعبة الأوتار مثل الماضى ..

شىء ما يعوقه ..

شىء ما ..

ـ هذا كثير .. كثير ..

اندفعت (إيزيس) مقتحمة الغرفة كزوبعة ، وعلى وجهها أقصى علامات الغضب والاكفهرار ، الأمر الذى اعتاده (تحتمس) منها مؤخرًا ..

اعتاده حتى مله !

ـ .. أخبرنى يا هذا ..

الأمر كالمعتاد أن (حتشبسوت) ضايقتها ، وستصب الأخيرة جام غضبها على أم رأسه !!

ـ .. هل أنت ملك هنا حقًا ؟! أم محض لعبة طفل ؟!

نظر نحوها بعينين خاويتين ، لابد أن تمر هذه الزوبعة أيضًا ..

لابد !

ـ .. (حتشبسوت) تعاملنى ككلبة فى هذا القصر ، وأنا زوجة من يفترض كونه الملك ..

الصمت والاستغراق فى اللاشىء ..

ـ تصور أنها منعتنى من دخول البهو الملكى ، بحجة أننى وصيفة ..

أنا زوجة الملك ؟ وصيفة !!

الصمت والاستغراق فى اللاشىء ..

ـ .. ليس لها من هم فى الآونة الأخيرة إلا إيقاع الإهانات بى ، لكن هذا فوق الاحتمال ، هذا كثير كثير ..

الصمت والاستغراق فى اللاشىء ..

ـ .. بلغ السيل الزبى !

الصمت والاستغراق فى اللاشىء ..

ـ .. هذا ما آخذه منك ، الصمت .. الصمت .. كيف يمكن أن تقف أمام مرآة نفسك وأنت بهذا الضعف المهين ؟! كيف ؟!

آلمته الكلمة ، برغم الصمت والاستغراق فى اللاشىء ..

الضعف المهين ..

الهوان الضعيف ..

الضعف والهوان ..

الضعيف المهين ..

ـ .. كنت أتمنى أن أنجب لك وليًا للعهد ، لكن .. كيف يمكن أن يواجه الملك القادم أباه وهو بهذه الصورة المزرية من الضعف .. كيف ؟!

الضعف ..

الضعف ..

الضعف ..

الكلمة ترن كالناقوس الملح فى تجويف دماغه ..

نهض أخيرًا ، واجهها وحاول أن يفوه بشىء :

ـ لست ضعيفًا !

لكنها خرجت ضعيفة .. معبقة بالهوان .. والضعف !

ـ انظر إلى نفسك ..

تجلده بلا رحمة ..

ـ .. لم تفعل شيئًا لنفسك أو للبلاد ، لم تصن عرشك ، لم تشيد معبدًا أو مسلة ، لم تخرج فى أى حملة عسكرية ، لم ...

قاطعها صارخًا :

ـ لست ضعيفًا ..

نظرت إليه فى تحدٍ ، وقالت واضعة يديها حول خصرها :

ـ أثبت لى ولنفسك إذن ..

وكانت هذه آخر الكلمات التى رنت فى أذنه عندما امتشق الحسام ـ لأول مرة فى حياته ـ أمام فرسان قبائل (الشاسو) المغاوير ..

وكانت هذه آخر الكلمات التى تذكرها قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بطعنة غائرة فى الصدر ، ودماؤه تنزف على رمال الصحراء المحرقة ..

وكانت هذه آخر ذكرياته قبل أن يغمض عينيه ، غير عابئ بالعرش أو بالحكم أو بالسياسة أو بالحملات العسكرية ..

مات دون أن يعلم أن هناك (تحتمسًا ثالثًا) سوف يجلس فوق العرش من بعده ، برغم أنه لم يجلس أصلاً إلا مرة واحدة يوم التتويج !

مات !

★ ★ ★

٧ـ وصاية ..

حلمى عنيد ..

عزيمتى أوسع من صحراء بلادى ..

وفى قلبى نيل يتفجر

بالمحبة

وبالدماء ..

★ ★ ★

البهو الملكى مرة أخرى ، وأخيرة ..

تاج الوجهين ماثل على العرش وحده فى سكون ، منتظرًا أن يتوج رأس الملك ..

أو الملكة ..

(حتشبسوت) الواقفة ، وبين عينيها والعرش خط خفى ملتهب بالنار وبالرغبة ..

خلا الجو لها أخيرًا ..

لكنهما ما زالا يحرساته ؛ (إننى) و(إمحتب) ، بوقفتهما إلى جانبيه كأسدين متربصين ..

ـ لقد حان الوقت ..

قالتها (حتشبسوت) ، ولم تقلب عينيها كثيرًا فى الواقفين من حولها ، كلهم إمعات ودمى يحركها هذان الرجلان فى يسر واقتدار ..

الكاهن والمهندس ..

ـ نعم ..

قالها المهندس دون أن تزول بسمته التى تحمل كارثة ما لا ريب ..

ـ لقد حان الوقت بالفعل ..

قالها الكاهن عاقدًا ذراعيه امام صدره فى وضع المومياء ..

سألتهما (حتشبسوت) فى ريبة وهى تنظر نحو (سنموت) الواقف إلى جوارها بدون حراك أو صوت :

ـ ستمنحانى حقى الشرعى أخيرًا ؟!

ـ من يستطيع أن يمنع عنك حقك يا مولاتى ؟!

قالها (إننى) ، ولم تحب لهجته أو بسمته أبدًا ..

تستطيع أن تقسم إنهما يدبران شيئًا ما فى الخفاء ..

ـ أريد العرش ..

قالتها بكل وضوح وقوة ، وهى تعتدل فى وقفتها لتبدو مثل الفارس فى سمت أنثوى ..

قالتها ولمعت عيناها ..

قالتها ثم ساد صمت يليق بقبر ..

ـ بأى حق ؟!

سألها (إمحتب) فى لين ، وفكرت (حتشبسوت) فى أن المؤامرة تتضح ببطء ، لكنها لن تسمح بسلب العرش منها مرة أخرى أبدًا ..

ـ بحق الوراثة الشرعية ..

قالتها ، قبل أن يتكلم رجلها (سنموت) أخيرًا ويقول :

ـ .. ليس هناك من أبناء آخرين غير شرعيين للملك (تحتمس الأول) ..

ودوى هتاف (حتشبسوت) من بعده مجلجلاً ومزلزلاً :

ـ العرش لى إذن ..

حك (إتنى) ذقنه الحليقة بأظفاره وهو يقول :

ـ نعم ، ليس لك إخوة ذكور آخرين .. أعلم هذا ..

وتنهد (إمحتب) قبل أن يقول بلهجة تمثيلية مصطنعة :

ـ لكنك لست أحق من يعتلى العرش أيتها الشابة !

طفت ملامح (حتشبسوت) فوق بحيرة من الدم والغيظ والحنق ، وجدت نفسها تصيح :

ـ ماذا ؟! من إذن ؟!

وأتاها الجواب سريعًا ؛ بأسرع مما تصورت ..

أشار الاثنان إلى مدخل القاعة الشرقى ، واتجهت الأبصار كلها نحوه ، لترى (إيزيس) فى رداء بنى بسيط من الكتان تسير فى بطء مجتازة إياه ، وفى يدها كف طفل صغير ، حائر العينين ، قسماته مألوفة ، وحجمه يشير إلى أنه تجاوز الثالثة من العمر بقليل !

سارت (إيزيس) نحو العرش ، مستمدة الشجاعة والمقدرة من كف ابنها ، بينما أنفاس (حتشبسوت) تتردد فى صدرها نفثات من لهب ..

واتتها القدرة أخيرًا على أن تسأل ، وقد وشى صوتها بانهيار الأمل :

ـ من هذا ؟!

تعاون (إتنى) و(إمحتب) على حمل الطفل من الجانبين ، والطفل لا يعى شيئًا مما يدور من حوله :

ـ (تحتمس) أيضًا ..

قالها (إتنى) ..

ـ (تحتمس الثالث) ابن الملك (تحتمس الثانى) ، والوريث الشرعى لعرش البلاد ..

قالها (إمحتب) ، فحدجت (حتشبسوت) (إيزيس) بنظرة كاوية قبل أن تدمدم :

ـ ابن الوصيفة ؟!

قالت (إيزيس) وهى تشد قامتها فى اعتداد :

ـ ابن الملك ..

عاد الصمت يرين ، والأسئلة فى العقل دوّامات تدور وتدور ..

كيف يمكن لقطعه اللحم الأحمر هذه أن تضع فوق رأسها تاج الوجهين ، والتاج أكبر منها ؟!

لكن الصمت كان هو الجواب الوحيد ..

★ ★ ★

(أحموس) مومياء لاحياة فيها ـ تقريبًا ـ فوق سريرها ، وبجوارها (حتشبسوت) تمسك بيدها المسحوقة ..

وتذرف الدمع ..

ـ سرقوه منى ثانية يا أماه ..

(أحموس) شبح عاجز عن الكلام .. عاجز عن الحركة .. عاجز عن السمع والرؤية .. عاجز حتى عن العجز نفسه !

ـ .. تلك الحقيرة أنجبت منه طفلاً فى الخفاء ، وتركت الأمل يأكلنى حتى احترقت اليوم بنيران الحقيقة ..

ترفع (حتشبسوت) عينين ساح الكحل فيهما ، وسال مع الدمع الهتون ، تتأمل فى المجهول ..

ـ .. هل ظللت العمر كله أطارد وهمًا لن يجىء ؟!

يورق اليأس ذبولاً وعطنًا ..

ـ .. هل أرفع راية التسليم فى النهاية ؟! وأنـد طموحى فى مقبرة أنوثتى ؟!

تتلاشى الأجوبة فى مساحات الرؤيـة المشوشة إذ ترفع (أحموس) يدها المبللة بالدمع والكحل والتجاعيد ، فتتسع عينا (حتشبسوت) ويأكل الصدأ لسان الذهول ..

ـ العرش ..

يند الصوت عن مومياء الأم فى وهن ..

ـ .. العرش ..

نذير حياة يعبر فى عين قاحلة ..

ـ .. الـــ ..

ـ أماه .. إنك تتكلمين !

وتدور الدائرة ليعود كل شىء كما كان ..

مومياء وخواء ، ورؤية مشوشة لم تكتمل ..

تهز يد (حتشبسوت) بقايا الأم التى ..

ـ .. أماه ..

التى ..

ـ أماه ..

التى ذهبت إلى غير رجعة ..

★ ★ ★

ـ أصبحت رجلها إذن يا (سنموت) ؟!

قالها (إننى) متهكما وهو ينظر إلى (سنموت) الواقف

أمامه حاملا لفافة البردى ، فما كان من الأخير إلا أن قال فى اتزان :

- أنا رجل البلاد ، ولست رجلاً لأحد بعينه يا سيدى ..

- لكنك تتحدث على لسانها ..

- ما أنا إلا رسول ينقل بلاغًا ، فهل لديك ما تجيب به سؤال مولاتى ؟!

نظر (إننى) بعينين حائرتين إلى الواقف إلى جواره ، وهو يردد :

- مولاتك .. هه ؟!

على الفور قال (إمحتب) :

- قل لها إننا نوافق على عرضها يا (سنموت) !

حنى الرجل قذاله وسارع بالانصراف ، فى حين اندفع (إنى) يهتف بصديق عمره :

- ألم تتسرع قليلاً يا رجل ؟!

هز (إمحتب) كتفيه وقال :

- لكنها لم تطلب الكثير يا عزيزى ..

- إنها حية ماكرة ..

قالها (إننى) وهو يضيق عينيه متابعًا :

- .. لن نعرف أبدًا ما يدور فى رأسها !

عاد (إمحتب) يهز كتفيه ويكرر :

- ما زلت أرى أنها لم تطلب الكثير ، ولأن تخبرنا بما تزمع فعله مقدمًا لأفضل قطعًا من أن نفاجأ بقرار كهذا يصدر بغتة من البلاط الملكى ..

عاد (إننى) ينظر إليه فى حيرة ..

ويفكر ..

★ ★ ★

وقفت (حتشبسوت) أمام العرش تحمل التاج الملكى ، وأمامها وصيفتان تحمل إحداهما (تحتمس) الطفل الذاهل ، والأخرى تحمل ابنة (حتشبسوت) الوحيدة (نفرو رع) بملامحها الرقيقة فى وداعة ، وطفولتها البريئة فى جمال ، بينما (سنموت) واقف فى الجوار يتلو المرسوم من لفافة البردى :

- يتزوج (تحتمس الثالث) من (نفرو رع) زواجًا روحيًا يأخذ بمقتضاه الصبغة الشرعية لتوليه عرش البلاد ..

تبادل (إننى) و(إمحتب) النظرات ، وعادا يسمعان ..

ـ .. وحتى يشب الملك الصغير عن طوق الطفولة إلى النضج والرجولة ، فيصبح قادرًا على الاضطلاع بمهام الحكم وشئون الدولة ، تتولى الملكة الأم (حتشبسوت) الوصاية على عرشه ..

نظرات أخرى متبادلة ، ثم ..

ـ .. وبحكم الوصاية ، تئول إلى الملكة (حتشبسوت) مهام الحكم والإدارة العليا الجزئية ، لكنها لا تتخذ أية قرارات من شأنها تقرير مصير الدولة إلا بالرجوع إلى الرجال الثقات من أصحاب المناصب الرفيعة والخبرات العريضة ..

واطمئنان نسبى ..

★ ★ ★

قال (سنموت) :

ـ خطوة لا بأس بها أبدًا يا مولاتى ، على الأقل سيذكر التاريخ وصايتك على العرش ، وستخلد النقوش صور (تحتمس) كطفل صغير متعلق فى ذيل ثوبك وأنت ترتدين اللحية الصناعية وملابس الرجال !

قالت (حتشبسوت) :

ـ لا يكفى يا (سنموت) .. لا يكفى ..

قال :

ـ ماذا تنوين إذن ؟!

قالت :

ـ بعض الصبر ، وستعلم كل شىء فى حينه .. المهم أن تخبرنى ، هل شرعت فى بناء معبدى ؟! أم أن الأمر ما زال حلمًا على ورق ؟!

★ ★ ★

أيام ..

★ ★ ★

قال الكاهن (حبو سنب) :

ـ للآلهة أثر السحر على عقول العامة يا مولاتى ..

قالت (حتشبسوت) :

ـ تعنى أننى لكى أتولى العرش لابد أن أستعين بقوة الأسطورة ؟!

قال :

- الأسطورة جاهزة ، ليس أقوى من أن نقول إن (آمون) بنفسه قد أودعك رحم الملكة الأم السابقة ، والدتك (احموس) ..

قالت :

- هذا طريف ، سأدون هذه الأسطورة على جدران المعبد الذى شرع (سنموت) فى بنائه على البر الغربى بين أحضان الجبل ..

★ ★ ★

شهور ..

★ ★ ★

قال قائد الجيش :

- الجنود كلهم يفضلون هذا العصر حيث لا حروب أو دماء أو فقدان لعزيز ..

قالت (حتشبسوت) :

- سأدفع لهم مكافآت أيضًا لو أسهموا فى بناء معبدى الجنائزى ..

قال :

- سيرحبون حتمًا ..

قالت :

- (تحوتى) المسئول المالى الخاص بى سيتولى هذا الأمر ، وسأصدر قرار المكافأة بنفسى ..

★ ★ ★

سنوات ..

★ ★ ★

قالت (حتشبسوت) :

- كل شىء على ما يرام ؟!

قال (سنموت) :

- صرت خبيرًا فى دهاليز الإدارة الداخلية ، والكثير من الموظفين يعملون تحت إمرتى ويدينون بالولاء لمولاتى الملكة ..

وقال (حبو سنب) :

- الكاهن الأكبر (إمحتب) يفقد أنصاره يومًا بعد يوم ،

فابتعاده عن الكهانة إلى السياسة والحفاظ على العروش وهدمها يثير صدور الكهنة عليه ، لذا فالمعبد على أهبة الاستعداد لعهد جديد ..

وقال (تحوتى) :

ـ اطلعت على أغلب برديات وسجلات بيت المال وصوامع الغلال والثروات ، وصرت ملمًا بكل صغيرة وكبيرة فى شئون الدولة المالية ..

وقال قائد الجيش :

ـ الجيش لا يهتف الآن إلا باسم مولاتى ..

قالت :

ـ حان الوقت إذن ..

وأردفت ناظرة إلى سماء القاعة الملكية المرصعة بنجوم مرسومة على خلفية زرقاء :

ـ .. حان أخيرًا ..

★ ★ ★

انتشر جنود الجيش فى أنحاء المدينة تحت أستار الليل ، وفرض حظر التجوال كما أشيع بين العامة ..

ـ ماذا تقول ؟!

صرخ بها (إننى) وكاد يلفظ حنجرته معها ، فأعاد عليه قائد الجيش ما قاله :

ـ إقامتك محددة فى منزلك يا سيد (إننى) !

عاد (إننى) يحاول لفظ حنجرته :

ـ أنت مجنون مخرف ..

قال الرجل فى هدوء :

ـ سأتغاضى عن الإهانة تقديرًا لسوء موقفك ، لكن من المهم أن تعلم أن خروجك من دارك يعنى نهاية حياتك لا أقل !

المزيد من لفظ الحنجرة :

ـ من الذى أصدر هذا الأمر الملعون ؟!

نطق قائد الجيش اسمها :

ـ سحقًا لها ولك ولكم جميعًا .. أتعلمون على من تعتدون ؟!

ـ أنا خير العالمين بهذا ، لكن ..

ـ لا يوجد لكن ، سأذهب إلى الكاهن (إمحتب) على الفور ..

واندفع محاولا عبور باب جناحه الخاص فى قصره الواسع ، لكن رمح قائد الجيش بنفسه هو الذى سد أمامه الطريق ..

ـ هذا ممنوع يا سيدى ..

حاول (إننى) إبعاد الرمح :

ـ ابتعد عن طريقى .. إنى ..

لكن الصراخ لم يفده :

ـ ممنوع يا سيدى ..

بكل ما فى جسده المتوتر من قوة دفع (إننى) قائد الجيش جانبًا ، وهو يزمجر كالمسعور :

ـ سحقًا لك ، اذهب إلى الجحيم !

وعبر مندفعًا من الفرجة التى أحدثها بين الجدار والرمح ، غير عابئ بملابسه التى تمزقت ، وعندما اعتدل قائد الجيش محتارًا فيما يفعل مع هذا العنيد ، ارتفعت صيحة (إننى) عبر الباب ..

صيحة ألم رهيب ..

اندفع قائد الجيش راكضًا إلى الخارج ، ورأى (إننى) ممددًا على أرض الممر الواصل بين الغرف ، وهناك رمح مغروس فى صدره ..

العينان جاحظتان ، وخيط من الدم يتدفق من فمه ، وجندى مفتول العضلات يقف عند قدميه ..

ـ ماذا فعلت أيها المأفون ؟!

هتف قائد الجيش بجنديه الذى قال :

ـ سمعتك تقول إنه سيُقتل إذا اجتاز الباب ..

صاح فيه الرجل :

ـ كان تهديدًا يا غبى ، مجرد تهديد ..

ماتت بقية الكلمة على شفتيه وهو يرمق (إننى) الذى يلفظ أنفاسه الأخيرة فوق الأرض ..

فات الوقت ..

★ ★ ★

ـ مات ؟!

هتف بها (إمحتب) مبهوتًا ، وعقله عاجز عن هضم الخبر ..

ـ بطريق الخطأ ..

قالها (سنموت) مطرقًا ، وارتفع من خلفه صوت (حتشبسوت) الصارم :

ـ لكل عهد جديد ضحاياه ..

انعكس وهج المشاعل المعلقة على جدران المعبد فوق الوجوه الثلاثة ، التى كونت مثلثًا مرعبًا ..

ـ وإذن ؟!

سأل (إمحتب) والمرارة تغمر أعطافه ، فقالت (حتشبسوت) :

ـ يسرى عليك ما سرى عليه !

ـ القتل ؟!

قال (سنموت) :

ـ بل تحديد الإقامة ..

صمت ثم مهاتة :

ـ قبلت ..

ـ تعلمت من رأس الحمار الطائر ، هذا أفضل ..

قالتها (حتشبسوت) قبل أن تفاجأ به يقول :

ـ لكنَّ لى مطلبًا واحدًا ..

فى ضيق قالت :

ـ ليس من حقك أن ..

لكن (سنموت) قاطعها :

ـ لنر إن كان طلبًا يستحق التنازل من مولاتى ..

فأشاحت بيدها وقالت :

ـ قبلت شفاعتك ..

قال (إمحتب) على الفور :

ـ (تحتمس) .. الملك (تحتمس الثالث) !

صححت له فى عصبية :

ـ تقصد الأمير (تحتمس) .. ليس هنا سوى ملك واحد ، بالأحرى ملكة واحدة ..

سأله (سنموت) :

ـ ماذا عنه ؟!

ـ سآخذه ، ..

صمتًا ، فواصل :

ـ سأربيه مع ابنى (رخميرع) .. ما رأى مولاتى ؟!

لأول وهلة أعجب الطلب (حتشبسوت) كثيرًا ، على الأقل

لن يكون فى القصر من متحكم آمرٍ ناهٍ سواها ، خاصة وأن (إيزيس) أمه اللعينة قد فرت تحت جنح الليل إلى حيث لا يدرى أحد ..

خوفًا من العقاب ، ورغبة فى الحياة ..

لكن (حتشبسوت) آثرت التريث ريثما تفكر فى مسألة تربية (إمحتب) لـ (تحتمس) هذه ، وهو ما ستفعله ـ التريث ـ فى كل قرار تتخذه فى حياتها القادمة ..

حياة الملكة ..

★ ★ ★

٨ ـ ملكـــة ..

رفرفت بجناحى فى سماء الأمنيات ..

ولم تحرقنى شمس المستحيل ..

حصدت البيادر والزهور ..

بنيت المعابد والقصور ..

أرسلت رحلة بحرية إلى بلاد الصمغ والذهب والبخور ..

عاش الناس فى خير وسلام ..

فى محبة وسرور ..

وتحققت نبوءة أبى القديمة ..

★ ★ ★

دائرة من المشاعل تنعكس على صفحة الماء الأسود مع دائرة القمر المضيئه ..

ـ هاهنا تنتهى آثار حوافر الحصان ..

أشار (محب) إلى صخرة كبيرة مشرفة على مجرى النهر، ومن خلفه العيون الست المحملقة، وصوت الأمير (تحتمس) يقول:

ـ ما الذى أتى بها إلى هنا ؟!

سأله (حورى):

ـ الخيل ام الملكة ؟!

لكز الأمير بطن جواده بقدمه متقدمًا من الصخرة ومتجاهلا السؤال، وصمت بملامح قلقة قبل أن يسال بدوره:

ـ هل تسمعون شيئًا ؟!

قال (حورى) هازًا كتفيه:

ـ لا أسمع إلا أمواج النهر تضرب الضفاف ..

وتبعته (نفرو):

ـ وربما الريح أيضًا ..

أما (محب) فقد تقدم على قدميه من الأمير وهو يهمس:

ـ أظننى أسمع همهمة ما ..

وبقفزة قوية اعتلى الصخرة، ونظر أسفلها، فاتسعت عيناه فى غير تصديق ..

★ ★ ★

بضربة واحدة من عصاه أطاح الشاب ذو القوام الرياضى والملامح المعدنية بعصا خصمه ذى الجسد النحيف والوجه والأنف الطويلين، فسقط الأخير على أرض المعبد الترابية صائحًا فى ألم ..

ارتطمت عصاه بالأرض محدثة قرقعة، تفجرت بعدها الضحكتان ..

ـ غلبتنى مثل كل مرة يا (تحتمس) ..

مد الأمير (تحتمس) يده نحو صديقه الواقع ممازحًا إياه:

ـ لست قويًا بقدر ما أنت ضعيف يا عزيزى (رخميرع) ..

قبض (رخميرع) بأصابعه الطويلة على يد (تحتمس) الذى جذبه لأعلى فأوقفه، وشرع ينفض التراب عن ملابسه قائلاً:

ـ لم أدّع يومًا أننى فذ فى القتال ..

قال (تحتمس) مربتًا على كتفه فى أخوّة:

ـ ولم أبلغ براعتك فى العلوم والمعارف يا صاحبى ..

قال (رخيمرع) :

ـ لشد ما نحن مختلفان برغم كوننا صديقين ..

ـ بل متكاملان ..

أتاهما الصوت من جهة التفتا إليها ، ليريا الكاهن (إمحتب) الذى أصبح أكثر هرمًا واكتسى شعر رأسه ولحيته ـ اللذين أطلقهما منذ اعتزاله ـ باللون الأبيض الشهير ..

ـ أبى ..

ـ معلمى ..

دنا منهما وهو يتابع :

ـ فى كل منكما ما ينقص الآخر ، وبذا يسير الزورق بكما فى نهر الحياة ..

تركاه حتى أنهى عبارته ، ثم وجه إليه (رخميرع) بعض اللوم الضرورى :

ـ ما الذى جعلك تترك صومعتك يا أبى ؟! ليس من المستحب أن تسير بمفردك كل هذه المسافة ..

قال (إمحتب) وهو يجلس فوق قاعدة تمثال قريب :

ـ لم تهزمنى الشيخوخة بعد .. ما زلت قادرًا على التفكير والحركة ..

لوح الفتى النحيل بسبابته ليقول مجددًا :

ـ لكن أوامر الملكة هى ألا تغادر صومعتك على الإطلاق ..

قال (تحتمس) فى ضيق :

ـ مرت سنون طويلة ، ولعل القرار باطل الآن ..

قال (إمحتب) وهو يتأمل ملامح (تحتمس) الواعدة :

ـ الكثير باطل .. الكل باطل وقبض الريح ..

قال الفتى الواعد :

ـ لن يطول الأمر كثيرًا يا معلّمى ، أمور كثر لابد أن تتغير ..

خاطبه (رخميرع) :

ـ لا نملك ما يكفينا من القوة اللازمة حتى الآن ..

انفجر (تحتمس) :

ـ لكن الأمر تجاوز حدود الاحتمال ، الملكة لاهية فى

قصرها العالى عن كل ما يحدق بالمملكة من أخطار عظمى من جميع الجهات .. ستزول البلاد لو لم نع ونجابه أطماع المحدقين السائل لعابهم لالتهامنا ..

شجعه (إمتحب) :

- صحيح ..

شرد (تحتمس) مغمغمًا :

- أحلم بأكثر من مجابهة الأعداء بالسيف وحده على أطراف المملكة أحيانًا ..

واستطرد :

- .. أحلم بجيش خفى ندربه منذ نعومة الأظفار على كل فنون القتال ، ونسقيه بأيادينا علوم الكهنوت وأسرار العلم المستغلقة ، ليكون حماية لنا فى السلم والحرب ..

سأله (رخميرع) :

- ألم تبدأ فى تحقيق حلمك هذا مع الكاهن غريب الأطوار الذى يدعى (تحوت) ؟!

أومأ (تحتمس) :

- بلى ، ونشرع الآن فى إعداد معبد فى أحضان جبل

(طيبة) الغربى ، ليكون نواة ينطلق منها شعاع الحلم القديم ، مستشرفًا آفاق المستقبل ..

- (لوتس) ..

قالها (إمحتب) ، ورددها خلفه (تحتمس) مأخوذا :

- (لوتس) ؟!

أومأ الكهل أن نعم ..

- إنها الزهور التى تظلل النهر ، وستكون الزهور التى تغمر سماءنا أمنًا وأمانًا ..

- ليكن يا معلّمى ، سنطلق بالفعل جنود (لوتس) ..

تساءل (رخميرع) :

- والملكة لا تعلم شيئًا عن هذا الأمر ؟!

مط (تحتمس) شفتيه وقال :

- ولن تعلم .. دعها غارقة فى دعة أمنها وأمانها الكاذبين حتى يحين الحين ..

وأردف مغمغمًا :

- .. والحين أقرب إليها من نحرها ..

غمزه (رخميرع) :

ـ و(نفرو رع) ؟!

التفت نحوه (تحتمس) كالملسوع ، وظلت شفتاه منطبقتين مع صدره الذى يعلو ويهبط فى سرعة ..

وفى اضطراب ..

★ ★ ★

زهور حمراء وبنفسجية ، حشائش وأعشاب خضراء يانعة ، وعصفور يحط على كفها البض ..

(نفرو رع) فى ثوبها الملون المتسق مع ألوان عينيها ، شعرها منسدل على كتفيها ، وأناملها الرقيقة تداعب وريقات الزهور وتمتد بالحب لمنقار العصفور ، تقف فى حديقة القصر كأنها حورية ..

أو زائرة من الجنة ..

دلف (تحتمس الثالث) على صهوة جواده إلى حديقة القصر ، وصافحته بعينيها قبل أن تعدو نحوه ليظهر العرج الواضح فى مشيتها ، آثار مرض قديم أصيبت به وهى بعد طفلة ..

توقفت إزاءه ..

ـ عمت صباحًا يا أمير ..

صوتها لحن يثير الشجن فى أقسى القلوب ..

ـ عمتِ صباحًا ..

قالها (تحتمس) فى اقتضاب وجفاء دون أن ينظر إليها ، فغالبت ألمها وحاولت أن تبتسم :

ـ لم نرك فى القصر منذ مدة طويلة ..

اقتضاب وجفاء :

ـ هذا حق ..

تغالب ألمها وتوسع جاهدة من بسمتها :

ـ أوحشتنا ..

ـ شكرًا ..

قالها وهو ينتهى من ربط حصانه فى وتد ، ثم يتجه إلى القصر دون حتى أن يعيرها أدنى التفات ، فتابعته هى بعينيها حتى غاب ..

عيناها اللتان طفرتا بالدمع ..

وبالحزن ..

وبالـ ..

★ ★ ★

- أقول إن المناوشات قد بدأت بالفعل على الحدود ..

هتف بها (تحتمس الثالث) محنقًا، فى مواجهة الملكة التى تضع لحية مستعارة ينتهى الخيطان البارزان اللذان يثبتهاتها خلف أذنيها، والتى تضع فوق رأسها تاج الوجهين، والتى ترتدى عباءة الملك القديمة، والتى تمسك فى يدها بصولجان ذهبى جديد ..

الملكة (حتشبسوت)؛ أول الملكات المتوجات فى التاريخ ..

قالت وهى تلتهمه بعينيها :

- جيوشنا مستعدة ..

هتف محنقًا :

- أى جيوش وأى استعداد ؟! جيوشنا تعودت على الراحة والفوضى، لم تلوث الدماء الأسلحة منذ سنين طالت، فأى حرب تلك التى يستطيعون خوضها الآن ؟!

قالت وهى تواصل التهامه :

- لعلك تطمح فى قيادة الجيوش إذن ..

- دعك من طموحى ولنر أى كارثة تحدق بالبلاد ..

نهضت، اتجهت إلى الشرفة الدانية، نظرت إلى (طيبة) التى يعمها العمران والاخضرار، وإلى النهر الجارى بالخير الوفير، وإلى الناس البادين كخلية النحل أو النمل يمارسون أعمالهم فى همة ونشاط، وقالت :

- لم يتذمر فى عهدى عامل أو فلاح !

هتف بها من خلف ظهرها :

- الشعوب لا ترى أبعد من أقدامها، وعلى الحكام أن يتحلوا ببعد البصر والبصيرة !

استدارت إليه واستأنفت عيناها التهامه :

- عن طريق إراقة الدماء بأسباب وبغير أسباب ؟!

اقترب منها، ولفحت أنفاسه وجهها إذ قال ضامًا قبضته إلى وجهه :

- الثروة بلا قوة تحميها ليست إلا هباء ..

قالت دون أن يطرف لها جفن :

ـ إنك تضع شعارات بديعة لسنى حكمك القادمة ..

فار صوته وهو يقول :

ـ ليكن ..

واستدار مواجهًا مقعد العرش :

ـ .. إنه من حقى طال الزمن أو قصر ..

فوجئ بصوتها يتحول من خلفه إلى غلظة وصرامة وقسوة :

ـ حتى ذلك الحين أنا الملكة ، وأنت مجرد أحد أفراد الأسرة الملكية الكبيرة .. علىّ الأمر والنهى ، وعليك السمع والطاعة .. فهمت ؟!

نار سرت بين العيون .. لهب .. أتون .. احتراق ..

ـ هكذا إذن ؟!

نطق بها (تحتمس) وهو يلهث ، ولم يجد فى عينيها إلا الغلظة والصرامة والقسوة ..

والقوة ..

ـ المهندس (سنموت) بالخارج يا مولاتى ..

قطعهما صوت (سوترا) النوبية التى تنافر سواد جلدها مع شعره الذى تحول إلى البياض ، فالتفتت إليها الملكة وقالت :

ـ ليدخل فى أى وقت دون استئذان !

وعادت تنظر إلى (تحتمس) المحتقن ، فى حين خرجت (سوترا) ..

ـ سأرى أمر المناوشات هذه ، والشكر لاهتمامك يا أمير ..

عادت لتجلس على العرش فى لامبالاة ، فى حين اندفع (تحتمس) خارجًا ، لتتلاقى نظراته الحمراء مع نظرات (سنموت) الذى دلف إلى القاعة فى نفس لحظة خروجه منها ..

نظرات (سنموت) الهادئة الواثقة الحالمة ..

والعاشقة ..

★ ★ ★

ـ لن أصمت يا (رخميرع) ..

ـ ماذا بيدك أن تفعل يا عزيزى ؟!

ـ الكثير ..

ـ تنقصنا القوة ..

ـ ولا ينقصنا الدهاء !

★ ★ ★

٩ـ نهـايـة ..

حققت أحلامى ..

وحققتنى الأحلام ..

وذهبت دون أن ألقى على أحد السلام ..

★ ★ ★

قمر السماء يبكى بدموع من دم فضى ..

قائد الشرطة يرفع المنديل أمام ناظرى الأم الثكلى :

ـ بهذا تم خنقها ..

وتعجز (حتشبسوت) ـ المتحررة من ربقة الملابس الملكية ومن القدرة على التماسك ـ عن إرسال بصرها إلى الفراش حيث ابنتها المخنوقة ..

(نفرو رع) !

ـ ساقتل الجانى بيدى !

تنطق (حتشبسوت) بها وهى تبكى، ودموعها الممتزجة بالكحل تبلل الفراش، والجثة، والمنديل ..

يتردد قائد الشرطة قليلاً ، قبل أن يقول :

ـ لكن !

تلتفت إليه بنظرة حارقة ، وبهتاف كالصاعقة :

ـ ستقبض عليه بأية وسيلة ، هل تفهم ؟!

يهز رأسه بما معناه أنه يفهم ، لكنه يعود فيحاول القول :

ـ لكن .. هناك ما يدل عليه يا مولاتى ..

تتسع عيناها لهفة وشوقًا ورغبة فى الثأر :

ـ من ؟!

ـ إنه ...

ـ لا تقل إنه (تحتمس) ..

يمد قائد الشرطة يده المضمومة ويفردها أمامها ..

ـ وجدنا هذا ..

زر من عباءة ..

تشهق (حتشبسوت) وتجاهد لئلا تسقط مغشيًا عليها ..

ـ .. بجوارها !

زر من عباءة (سنموت) ، التى تعرفها جيدًا !

★ ★ ★

قال (تحوتى) مهونًا :

ـ لقد خففت الحكم عنك من الموت إلى الحبس بين جدران منزلك مدى الحياة ..

وبأسى الدنيا وما فيها قال (سنموت) :

ـ المهم أن تكون هى بخير !

هز (تحوتى) كتفيه وقال :

ـ منذ ليلة الحادث وهى فى عزلتها داخل غرفتها ..

غمغم (سنموت) :

ـ الأوغاد لعبوها باحتراف !

ـ من تقصد ؟!

ـ كأنك لا تعرف !

ـ الحق أن الحيرة تصفعنى بلا رحمة ..

ـ وأنا أصبح موتى حتميًا !

★ ★ ★

أصبح موتك حتميًا يا (سنموت) ..

هأنت ذا تعتلى مقعدك الخشبى، وتثبت الحبل جيدًا فى سقف منزلك، تحكم ربط الأنشوطة وتجربها أكثر من مرة فلا مجال للخطأ فى الموت ..

لاترى عينك سواها، ليلة رأيتها أول مرة فى حفل تتويج (تحتمس الثانى) بأنوثة طاغية وجمال كاسح، وما تلا ذلك من محاولاتها المستبدة لكبح جمالها وأنوثتها ..

لاترى عيناك سواها ..

تضع دائرة الحبل حول رأسك، وتستعد للقفز فى الهواء ..

تدفع بقدمك المعقد بكل ما أوتيت من قوة ورغبة ملحّة للفراق، وتتدلى ..

تموت ..

★ ★ ★

ضحك (رخميرع) ضحكة صاخبة وهو يناول الكأس لـ (تحتمس):

ـ عصفوران بحجر واحد .. ما رأيك يا صديقى ؟!

فى صمت واجم تناول (تحتمس) الكأس، ولم يرفعه إلى شفتيه ..

ـ .. انشطر قلب الأم، وقتل رجلها المدلل نفسه بيده ..

أفلت الكاس من يد (تحتمس) وسالت محتوياته على أرض المعبد ..

ـ .. كاهنها (حنوسنب) أيضًا سيجدونه مشنوقًا غدًا فى صومعته الكهنوتية، أما (تحوتى) رجل المال فسيـ ..

لايقوى على سماع المزيد، لذا فقد أمسك بذراع صاحبه وعلى وجهه أقصى أمارات الألم ..

ـ .. ما بك يا (تحتمس) ؟! يفترض بك أن تكون مغتبطًا طائرًا فى سماوات السعادة ..

تنهد (تحتمس) فى عمق وأمسك رأسه براحتيه ..

ـ .. الطريق إلى العرش شارف على نهايته ..

نهض أخيرًا وابتعد عن صديق طفولته الذى تركه لشأنه ، وعاد يجرع من كأسه ..

سار (تحتمس) وفكرة وحيدة تؤلمه بالدوران كالنحلة المشاكسة فى رأسه ..

فكرة أن لكل عهد جديد ضحاياه !

★ ★ ★

أسفل الصخرة كانت هناك امرأة نوبية بشعر قطنى أبيض تئن وتتوجع ..

قفز نحوها (محب) وأمسك بيدها الباردة كقطعة من الثلج ..

ـ (سوترا) ؟!

وصيفة (حتشبسوت) الأمينة ، تعرف (تحتمس) على الفور برغم الظلام والرهبة ..

ـ إنها تحتضر ..

قالها (محب) ، مع ظهور (حورى) و(نفرو) عند قمة الصخرة ..

ـ يمكننى أن ..

قالتها (نفرو) ، لكن المرأة أشارت بعيدًا إلى الضفة الغربية ، وهى تنطق بصعوبة بالغة :

ـ المـ .. الملـ .. الملـ .. ـكة !!

ثم أغمضت عينها وأسلمت الروح ، مع صهيل حصانه الذى تعالى راكضًا أسفل انحدار النهر وحوافره تثير رشاشات الماء ..

لاهثًا سأل (تحتمس) :

ـ ماذا تقصد ؟!

أرسل (حورى) بصره إلى صفحة الماء ، وإلى تلك الدوامات المتشكلة على سطحه فى غير موضع ، وهز رأسه فى تفهم قبل أن يقول :

ـ تقصد أنها ذهبت !

وران الصمت بين العيون ، إلا من الأمواج والريح وصهيل الحصان ..

★ ★ ★

دوائر الماء الداكنة فى عتمة المساء الراحل ..

هكذا تضع الحرب أوزارها ، وتستعد الروح إلى رحلة الراحة الأبدية ..

هكذا تنغلق أبواب كل شيء ، وينقطع الخيط الأخير ..

هكذا تنتهى اللعبة ..

ويبدأ الحساب ..

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

مغامرات خيالية من مصر الفرعونية

محمد سليمان عبد المالك

لوتس معبد مكة

حاربت الجميع من أجل العرش ..
وحاربها الجميع لأنها امرأة ..
لكن ..
لأن لها إرادة من حديد ، وقدرة
خارقة على التحدى والصمود ..
فقد كان النصر لها قبل أن ..
تدور الدوائر ..

الثمن فى مصر ٢٥٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم

(فارس من الشرق)

مطابع سلاح التلميذ